جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

٣ـ٤

ربيع أول وربيع آخر ـ ١٤٣٩هـ

إشراف

إعــداد

اللجنة العلمية

obeikan.com

هكذا تكون المواعظ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وبعد،

فمن خصائص مواعظ النبي ﷺ تغير حاله عندها، واشتداد غضبه بذكرها، وتأثره عند إلقائها.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلاَ صَوْتُهُ، واشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: "**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**"، وَيَقُولُ: "**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**"، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: "**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**" ثُمَّ يَقُولُ: "**أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ**"(١).

فانظر رحمك الله إلى هذه الهيئة النبوية إبّان خطبته الشريفة البهية كيف كان متهيبًا لها، معظمًا لشأنها، غاضبًا كأن العدو على أبواب المدينة قادمًا لمحوها.

قال النووي: يستحب للخطيب أن يُفخِّم أمر الخطبة ويرفع صوته ويجزل كلامه ويكون مطابقا للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب.

وقال القرطبي في المفهم: وهذا مُشعر بأن الواعظ حقُّه أن يكون منه في وعظه بحسب الفصل الذي يتكلم فيه ما يطابقه ، حتى لا يأتي بالشيء وضده ظاهر عليه.

وقد نقل عنه الصحابة هذه الحالة في غير موعظة وكأن هذا كان ديدنه ﷺ ،

عَنْ عَلِيٍّ، أَوْ عَنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُنَا فَيُذَكِّرُنَا بِأَيَّامِ اللهِ، حَتَّى نَعْرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَكَأَنَّهُ نَذِيرُ قَوْمٍ يُصَبِّحُهُمِ الْأَمْرُ غُدْوَةً، وَكَانَ إِذَا كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِجِبْرِيلَ لَمْ يَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا حَتَّى يَرْتَفِعَ عَنْهُ "(٢)

---

(١) صحيح مسلم (٨٦٧)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٣٧) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمه الله

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّارَ فَأَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: "**اتَّقُوا النَّارَ**" ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: "**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**".(١)

قال الخطابي: يقال: أشاح الرجل بوجهه، إذا صرف وجهه عن الشيء فعل الحذر منه الكاره له، كأنه ﷺ كان يراها ويحذر وهج سعيرها، فنحى وجهه عنها، والشياح: الحذار(٢)

هل يمكن أن يقع هذا التأثر في الموعظة لرجل لا يفهم ما يعظ به، أو يعظ بما لا يعمل به ، أو يحدث لمن أملي عليه الوعظ ليصعد على المنبر كالببغاء يقرأ ما يملى عليه

عن عمر بن ذر أنه قال لوالده "يا أبي! مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بنى! ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة (٣)

الوعظ بمثابة السياط تضرب القلوب وتحييها وكلما كان الضب أقوي كان التأثر أعلى وأبقى . ولهذا كان تغير الحال للنبي ﷺ ساعة الوعظ ثم بعده كأنما سري عنه

"إنما يصلح التأديب بالسوط من صحيح البدن ثابت القلب قوي الذراعين فيؤلم ضربه فيردع فأما من هو سقيم البدن لا قوة له فماذا ينقع تأديبه بالضرب.

كان الحسن إذا خرج إلى الناس كأنه رجل عاين الآخرة ثم جاء يخبر عنها وكانوا إذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لا يعدون الدنيا شيئًا،

وكان سفيان الثوري يتعزى بمجالسه عن الدنيا، وكان أحمد لا تذكر الدنيا في مجلسه ولا تذكر عنده، قال بعضهم: لا تنفع الموعظة إلا إذا خرجت من القلب فإنها تصل إلى القلب فأما إذا خرجت من اللسان فإنها تدخل من الأذن ثم تخرج من الأخرى.

---

(١) متفق عليه

(٢) أعلام الحديث (٣/٣١٧٣)

قال بعض السلف: إن العالم إذا لم يرد بموعظة وجه الله زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

كان يحيى بن معاذ ينشد في مجالسه:

مواعظ الواعظ لن تقبلا حتى يعيها قلبه أولا
يا قوم من أظلم من واعظ قد خالف ما قاله في الملا
أظهر بين الناس إحسانه وبارز الرحمن لما خلا"[1]

ولهذا يجب أن يعلم الواعظون أنهم بمثابة الأطباء للقلوب، والمعالجين لأمراض الأمم والشعوب، وحراس الشريعة من أصحاب الفتن واللغوب، فلا يصعدون المنابر للمال والأجور بل للدعوة ونيل مرضاة علام الغيوب

فهل آن للمنابر أن تنفض هذا البرود وتقصي هذا الجمود ،كي يستشرف الناس الوعظ بلهفة المودود، وإصغاء الملهوف، ووجل المنكوب، وخشوع المنكسر المكروب

فيرى الناس في الموعظة تفريج الهم ورفع الغم، وتنشط نفوسهم بعد سماعها للإقبال على الحق والإعراض عن الباطل وإن دق، فيتلهفون على السماع في الجمعات وفي أعقاب الصلوات وعند المصائب الملمات، وهذا لن يكون إلا إذا عادت للموعظة حرارتها ونفض الدعاة عنها رتابتها وأبدع الواعظون وأتقنوا مهارتها، وعملوا بمقتضاها وتذوقوا حلاوتها، عندها يقود الدعاة إلى الله الأمة إلى رفعتها .

فاللهم وفق دعاة الحق إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد آمين

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

كتبه

أحمد بن سليمان

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب

obeikan.com

كُـــلُّ النَّـــاسِ يَغْـــدُو

الغاية من خلق الإنسان **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله**
كل الناس موبق أو معتق **اعتقـــوا أنفســـكم**

لقد أصبح حال الكثير من المسلمين اليوم إلا من رحم ربك لا همَّ لهم إلا السعي وراء حطام الدنيا فهي غاية آمالهم في هذا الزمان ومنتهى مرادهم، متناسين غافلين عن قول الله عز وجل: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: ٢٠]

وغافلين عن قول الله جل جلاله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦]

فمن كان همَّه ومراده وشغله الشاغل هو العمل من أجل الدنيا، فإن الله بعَدلِه يوفيه عمله الذي التمسه من أجل الدنيا، ولكنه ينال الخسران من الله في الآخرة {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩]

ولقد حذرنا النبي ﷺ من الركون إلى الدنيا ولذاتها مخافة الوصول إلى التنافس والتعارك والتحاسد والتناحر على حطامها فقال ﷺ: " **فَوَاللَّهِ لاَ الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**"(١).

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أَنَّ السَّلاَمَةَ فِيْها تَرْكُ ما فِيها
لا دار للمرء بعد المـــوت يسكنها إلاّ الَّتي كانَ قَبْلَ المَوْت بانِيها

(١) أخرجه البخاري(٣١٥٨) وهو لفظه، ومسلم(٢٩٦١).

فَإِنْ بَنَاها بِخَيْرٍ طابَ مَسْكِنُها وَإِنْ بَنَاها بِشَرٍّ خابَ بانِيها[١].

وصدق النبي ﷺ إذ يقول: "**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**"[٢].

الغاية من خلق الإنسان

لقد خلق الله عز وجل الإنسان وميزه عن باقي المخلوقات وكرَّمه، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، لا ليأكل ويشرب ويتمتع ويلبس ويلهو ويلعب، وإنما خلقه لعبادته كما أخبر بذلك جل جلاله فقال: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**} [الذاريات: ٥٦]

وقال سبحانه مخاطبًا الغافلين عن هذه الغاية التي من أجلها خلقوا: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون: ١١٥ - ١١٧]

وقال جل جلاله: {**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**} [القيامة: ٣٦] يعني لا يؤمر ولا ينهى. والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة[٣].

فَالْعِبَادَةُ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي خَلَقَ لَهَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالْخَلاَئِقَ كُلَّهَا، وَلَهَا أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَلِأَجْلِهَا خُلِقَتِ الْجَنَّةُ وَالْنَارُ؟ [٤].

وإن الغفلة عن تحقيق المقصود من خلق الخلق وهو التعبد لله لمن أعظم أسباب انهزام أمتنا وقد أخبر بذلك الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى فقال ﷺ: "

---

(١) ديوان علي بن أبي طالب (ص: ١٧٦).

(٢) أخرجه مسلم(٢٢٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه.

(٣) تفسير ابن كثير(٨/ ٢٨٣).

(٤) انظر مدارج السالكين لابن القيم(١/ ١١٨).

يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ". فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: " **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ** ". فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ قَالَ: " **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**"(١).

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ

لقد أخبر ربنا تبارك وتعالى عباده أن الدنيا دار ممر لا دار مقر، ووعظ الله عز وجل عباده وذكرهم زوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها، وأخبر أن كل صغير وكبير ودقيق وجليل مرجعه ومآبه إلى خالقه جل جلاله، ولا محالة ولا مهرب ولا مفر من إتيان الآخرة والرجوع إليه تعالى ومحاسبته تعالى خلقَه على ما عملوا، ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر، ويحذرهم عقوبته، فقال تعالى: { **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** }[البقرة: ٢٨١](٢).

فليحذر العباد وليتعظوا بموعظة الله لهم وليمتثلوا أمره فالأمر جدُّ خطير وعظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.

قال أبو جعفر الطبري: في تفسير هذه الآية، يعني بذلك جل ثناؤه: واحذروا أيها الناس يومًا ترجعون فيه إلى الله فتلقونه فيه، أن ترِدوا عليه بسيئات تهلككم، أو بمخزيات تخزيكم، أو بفاضحات تفضحكم، فتهتِكُ أستاركم، أو بموبقات توبقكم، فتوجب لكم من عقاب الله ما لا قِبل لكم به، وإنه يوم مجازاة بالأعمال، لا يوم استعتاب، ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة، توفى فيه كل

(١) أخرجه أبو داود في سننه(٤٢٩٩)، وصححه الألباني في المشكاة(٥٣٦٩).

(٢) انظر تفسير ابن كثير(١/ ٧٢٠).

نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح، لا تغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر إلا أحضرت، فوفيت جزاءها بالعدل من ربها، وهم لا يظلمون.

وكيف يُظلم من جوزي بالإساءة مثلها، وبالحسنة عشر أمثالها؟! كلا بل عدل عليك أيها المسيء، وتكرم عليك فأفضل وأسبغ أيها المحسن، فاتقى امرؤ ربه، وأخذ منه حذره، وراقبه أن يهجم عليه يومه، وهو من الأوزار ظهره ثقيل، ومن صالحات الأعمال خفيف، **فإنه عز وجل حذَّر فأعذر، ووعظ فأبلغ**(١).

وصدق ربنا إذ يقول: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}** [الحشر: ١٨ - ٢٠]

فكل إنسان مسئول أمام الله عز وجل عما قدم من العمل موقوف بين يدي ربه ليكلمه ويسأله لا حاجب بينه وبين ربه ولا ترجمان، فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ الأَعْمَشُ وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ عَنْ خَيْثَمَةَ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**(٢).

فاستعدوا للقاء الله وتزودوا بالتقوى والعمل الصالح، وليكن قدوتكم أصحاب النبي ﷺ الذين ضربوا أروع الأمثلة في الخوف من لقاء الله عز وجل مع حسن عملهم

---

(١) تفسير الطبري(٦/ ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري(٧٥١٢).

وجهادهم في نصرة دين الله وهذا أمر لا يخفى عليكم ومع حسن مراقبة الله عز وجل إلا أنهم كانوا وَجِلين خائِفين من يوم العرض على قيومِ السماوات والأرض، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ، قَالَ: **لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَوْ تَعْلَمُونَ حَقَّ الْعِلْمِ لَصَرَخَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتُهُ، وَلَسَجَدَ حَتَّى يَنْقَطِعَ صُلْبُهُ**(١).

وَقَرَأَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}، فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} بَكَى حَتَّى خُنَّ، وَحَتَّى انْقَطَعَ عَنْ قِرَاءَةِ مَا بَعْدَهَا.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ﷺ: "وَلَأَنْ أَدْمَعَ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ".

وَبَكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ﷺ، فَبَكَتِ امْرَأَتُهُ فَقَالَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: أَبْكَانِي الَّذِي أَبْكَاكَ، قَالَ: "أَبْكَانِي أَنِّي وَارِدُ النَّارَ فَلاَ أَدْرِي أَنَاجٍ مِنْهَا أَمْ لَا"(٢).

كل الناس موبقٌ أو معتقٌ

إن الناس في مسيرهم إلى الله عز وجل ينقسمون إلى قسمين لا ثالث لهما: إما غاد لإيباق نفسه، وإما غاد لإعتاق نفسه ولقد أخبر النبي ﷺ بقوله: "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا"(٣).

وفي لفظ آخر قال ﷺ: "**النَّاسُ غَادِيَانِ، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقٌ رَقَبَتَهُ، وَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقٌ رَقَبَتَهُ**"(٤).

قال النووي: "وأما قوله ﷺ: "كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"، فمعناه كل انسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم(١/ ٢٨٩).

(٢) مختصر قيام الليل لابن نصر المروزي (ص: ١٤٤).

(٣) أخرجه مسلم(٢٢٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد(١٤٤٨١)، وأبو يعلى في مسنده(١٩٩٩) وهذا لفظه، وابن حبان في صحيحه(١٧٢٣)، والبيهقي في الشعب(٨٩٥٢)، والطبراني في الكبير(٣١٨).

ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها أي يهلكها والله أعلم"[١].

وقال ابن القيم: الناس قسمان: عِليَّةٌ و سَفِلَةٌ.

فالعِليَة: من عرف الطريق إلى ربه وسلكها قاصداً الوصول إليه، وهذا هو الكريم على ربه.

والسَفِلَة: من لم يعرف الطريق إلى ربه ولم يتعرفها، فهذا هو اللئيم الذى قال الله تعالى فيه: {وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مَكْرِمٍ} [الحج: ١٨][٢].

فلينظر كل واحد منا من أي الفريقين؟ ومن أي الصنفين؟ ومن أي الغاديين؟ وإنما يقسَّم الناس إلى هذين الفريقين على حسب أقوالهم وأفعالهم:

-فمن الناس من يغدُو ليوبق نفسه بسوء قوله فإذا تكلم لا تسمع فاه يفوح إلا بكل سباب وفحش وكذب وبذاءة، وتراه على أدنى المواقف يسب دين رب العالمين ويلعن الإسلام والمسلمين، متناسيًا قول النبي الأمين ﷺ: " **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِى بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** "[٣].

وقوله ﷺ: " **مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا** ": مَعْنَاهُ لَا يَتَدَبَّرهَا وَيُفَكِّر فِي قُبْحهَا، وَلَا يَخَاف مَا يَتَرَتَّب عَلَيْهَا، وَهَذَا كَالْكَلِمَةِ عِنْد السُّلْطَان وَغَيْره مِنْ الْوُلَاة، وَكَالْكَلِمَةِ تُقْذَف، أَوْ مَعْنَاهُ كَالْكَلِمَةِ الَّتِي يَتَرَتَّب عَلَيْهَا إِضْرَار مُسْلِم وَنَحْو ذَلِكَ. وَهَذَا كُلّه حَثّ عَلَى حِفْظ اللِّسَان كَمَا قَالَ ﷺ: " مَنْ كَانَ يُؤْمِن بِاَللَّهِ وَالْيَوْم الْآخِر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُت "، وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ النُّطْق بِكَلِمَةٍ أَوْ كَلَام أَنْ يَتَدَبَّرهُ فِي نَفْسه قَبْل نُطْقه، فَإِنْ ظَهَرَتْ مَصْلَحَته تَكَلَّمَ، وَإِلَّا أَمْسَكَ[٤].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٠٢).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم(ص: ١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري(٦٤٧٧)، ومسلم(٧٦٧٣) وهذا لفظه عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٤) شرح النووي على مسلم (٩/ ٣٧٣).

وغادٍ آخر لا يعرف إلا الصدق في الحديث، فحفظ لسانه من الوقوع في أعراض الناس والنطق بما يغضب الله عز وجل فكان جزاؤه أن وُفِق لما كان خيرًا له، وفي نهاية حياته نال الرضوان والفضل من الله العظيم، فختم له بخير الكلام، "ومن كان آخرُ كلامهِ لا إله إلا اللهُ دخل الجنة"(١).

-وصنف من الناس آخر يغدو تاركًا لصلاته متبعًا لشهواته، متناسيًا قول الله جل جلاله: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم: ٥٩]

غافلاً عن قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ}

فترى هذا الصنف من الناس يغدو على كل مكان وطريق فيه لهو ولعب، كالعاكفين في الملاعب ليل نهار والجالسين على المقاهي، لا يعرفون لله حق ولا يعرفون لأي مسجد طريق.

قارن هذا الصنف بصنفٍ آخر علموا حق الله عليهم فتعلقت قلوبهم بالمساجد محافظين على الصلوات راجين العفو والفضل من رب الأرض والسماوات إلى أن شاء الله عز وجل أن تقبض أرواحهم على ما كانوا يحبون من العبادات، كما ذكر عن رجل اسمه" **عبد الرحيم بن نصر بن يوسف** "، وهو من فقهاء الشافعية، وكان يؤم الناس بمدرسة بعلبك، مات وهو في السجدة الثانية من الركعة الثالثة من الظهر سجدها فانتظره من خلفه أن يرفع رأسه ثم رفعوا رؤوسهم وحركوه فوجدوه ميتا وذلك سنة ست وخمسين وستمائة(٢).

وذُكر في زماننا عن شاب أمريكي أسلم على إثر رؤية رآها فحسن إسلامه، وتعلق قلبه بأحد المساجد التي في المراكز الإسلامية هناك ولم يمض على إسلامه إلا فترة

---

(١) أخرجه أبوداود(٣١١٦)، عن معاذِ بن جبل رضي الله عنه، وصححه الألباني في الجامع الصغير(١١٤٢٥).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي(٨/ ١٩٢).

قصيرة فما لبث إلا أن مات ساجدًا في إحدى الصلوات، فما أجملها من خاتمة نسأل أن يختم لنا بخاتمة الصالحين.

-وصنف آخر من الناس يغدو في طلب رزقه لا يبالي من أي وجه يطلبه، ولا يهمه إلا جمع المال سواء كان من حرام أم حلال فتراه يتعامل بالربا بدعوى المصلحة والفائدة، وتراه يقبل الرِشوة، وتراه يشهد الزور، وتراه يأكل أموال الناس بالكذب والباطل والبهتان، ولا تراه إلا في جمع كل خبيث من الطعام، تاركًا ما طيَّبه الله له متناسيًا قول ربه جل وعلا: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]

غافلاً عن قول النبيﷺ: **" أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا "**(١).

قارن هذا الصنف من الناس بمن يبحث عن الحلال الطيب مع ندرته لكنه لا يعجز عن طلبه والله المستعان، ومثل هذا الصنف ما ذكر عن صديق الأمة رضي الله عنه، وما حدث عندما جيء له بطعام شك في أمره، فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه، قَالَ: " كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، مَمْلُوكٌ يَغُلُّ عَلَيْهِ فَأَتَاهُ لَيْلَةً بِطَعَامٍ فتَنَاوَلَ مِنْهُ لُقْمَةً، فَقَالَ لَهُ الْمَمْلُوكُ: مَا لَكَ كُنْتَ تَسْأَلُنِي كُلَّ لَيْلَةٍ وَلَمْ تَسْأَلْنِي اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ الْجُوعُ، مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَذَا؟ قَالَ: مَرَرْتُ بِقَوْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَرَقِيتُ لَهُمْ فَوَعَدُونِي، فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْيَوْمُ مَرَرْتُ بِهِمْ فَإِذَا عُرْسٌ لَهُمْ فَأَعْطَوْنِي، قَالَ: إِنْ كِدْتَ أَنْ تُهْلِكَنِي، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي حَلْقِهِ فَجَعَلَ يَتَقَيَّأُ، وَجَعَلَتْ لَا تَخْرُجُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ لَا تَخْرُجُ إِلَّا بِالْمَاءِ، فَدَعَا بِطَسْتٍ مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ يَشْرَبُ وَيَتَقَيَّأُ حَتَّى رَمَى بِهَا، فَقِيلَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ هَذِهِ اللُّقْمَةِ، قَالَ: لَوْ لَمْ تَخْرُجْ إِلَّا مَعَ نَفْسِي

(١) أخرجه مسلم(٢٣٩٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

لَأَخْرَجْتُهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ**"، **فَخَشِيتُ أَنْ يَنْبُتُ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِي مِنْ هَذِهِ اللُّقْمَةِ** "(١).

-وصنف آخر وما أكثره في زماننا ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا يعرِف إلا الشغب والضجيج والطبل والمزمار، فتراه مستمعًا للأغاني الساقطة متمسكاً بها ومصرًّا على سماعها وملازمًا لها، ثم هو في مشاهدته لا يشاهد إلا كلَّ ساقط نتنٍ خبيث، أضاع عمره وأفناه وأوبق دينه ودنياه فلا سمعًا حفِظ ولا بصرًا غض، وكأنه لم يسمع قول الله عز وجل في تحريم الغناء بقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [لقمان: ٦، ٧]

وكأنه لم يسمع قول النبي ﷺ في ذم الملاهي والمعازف والغناء فقال ﷺ: " **لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ** "(٢).

تلك هي بعض الصور لفريقين من الناس فمنهم شقي وسعيد، مُمتثل لأمر ربه ومُعرض، غاد في إعتاق نفسه بالطاعة، ومنهم موبق لنفسه تاركًا لها تسير في اللهو والعصيان دون لجام ولا قيد يقيدها.

ومن أيقن أنه ملاق ربه تبارك وتعالى وأنه مُقبل عليه كي يحاسبه على ما قدَّم من العمل، فلابد له ويلزمه أن يقدِّم ويزيد من الصالحات لينجو من عذاب الله يوم القيامة وحتى ينال التوفيق والتيسير من الله.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم(١/ ٣١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقًا(٥٥٩٠)، والبيهقي في الكبرى(٢٠٩٨٨)، وابن حبان في صحيحه (٦٧٥٤). عن أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيّ رضي الله عنه.

اعتقـوا أنفسكم

ها نحن قد عرفنا الطريق وتعرفنا على أصناف الناس في مسيرهم إلى الله، فاختر لنفسك ما تشاء فكل واحد منا لا محالة أحد غاديين إما معتق لنفسه أو موبق لها، ومن أراد أن يعتق نفسه من عذاب الله يوم القيامة فليزمها التوبة والعمل الصالح، فلا يزال باب التوبة مفتوحًا، فمهما أسرف المرء على نفسه من الذنوب ثم ندم ورجع وأناب إلى ربه فإن الله برحمته ومنِّه وكرمه يقبله فهو جل جلاله التواب الرحيم، قال تعالى: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الزمر: ٥٣ - ٥٥]

وقال جل شأنه مذكرًا عباده بحسن التوبة: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: ٨]

ومن الأسباب التي تساعد على ثبات العبد على الطاعات:

١-الدعاء:

وهو من أعظم أسباب التوفيق للطاعة، وقد كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء بالثبات على دينه، عن شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ

قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ. فَتَلاَ مُعَاذٌ {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}(١).

٢-صحبة الصالحين:

وهي من أنفع أسباب الثبات فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "الرجُلُ على دِينِ خَلِيلِهِ، فلينظر أحدُكُم من يُخالِلُ "(٢).

وذكر بعض الحنفية في كتاب شَرَعَهُ آداباً للمؤاخاة والصحبة فقال منها: أن لا يؤاخي ويصادق إلا من يثق به وبأمانته ويعرف صلاحه وتقواه فإن المرء يكون مع من أحب، ويحشر على دين خليله قال رسول الله ﷺ: "**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**

٣-الزيادة من العمل الصالح:

ومن ءامن بالله وعمل صالحًا ثبَّته الله عز وجل على الدين وهداه إلى صراطه المستقيم قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: ٢٧]

قال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، {وَفِي الآخِرَةِ} في القبر(٣).

نسأل الله عز وجل أن يثبتنا على دينه ويجعلنا من حزبه المفلحين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

---

(١) أخرجه الترمذي(٣٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي(٢٧٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود(٤٨٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٤٥).

(٣) تفسير ابن كثير(٤/ ٥٠٢).

وقفات مع حديث "الدين النصيحة"(١)

عَنْ تَمِيم بن أوس الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ** » **قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** ». (١)

أولا: أهمية الحديث

قال أبو داود: هذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه.

قال النووي: بل مدار الدين على هذا الحديث وحده وهو محصل لغرض الدين كله لأنه منحصر في الأمور التي ذُكرت في الحديث. (٢)

قال محمد بن نصر المروزي عند ذكر الحديث: جمعت هذه الكلمة كل خير يُبتغى ويُؤمر به، وكلَّ شر يُتقى وينهى عنه. (٣)

ثانيا: معنى النصيحة

وردت عدة تعريفات للنصيحة عن أئمة السلف من أهمها:

- هي: كلمة يُعبر بها عن جملةٍ، هي إرادة الخير للمنصوح له؛ وهذا من وجيز الأسماء ومختصر الكلام وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن هذا المعنى غير هذه الكلمة. (٤)

- **وقال ابن الصلاح:** النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا. (١)

---

(١) رواه مسلم (٥٥)

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٧) وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٣٨)

(٣) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٦٨١)

(٤) معالم السنن للخطابي (٤/ ١٢٥) والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/ ٦٣) وشرح النووي على مسلم (٢/ ٣٧)

obeikan.com

– **أو هي**: إخلاصُ الرأي من الغِشّ للمنصوح، وإيثار مصلحته، أو هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد. (٢)

– **وقال بعض أهل العلم:** جماع تفسير النصيحة هو عناية القلب للمنصوح له مَن كان. (٣)

ثالثا: ما المراد بقوله: الدين النصيحة؟

اختلف العلماء في حصر الدين في النصيحة هل هو حقيقي أم مجازي؟ على احتمالين:

– **الأول**: – وعليه الأكثر– يحتمل أنه أراد: المبالغة؛ فيكون في الكلام حذف تقديره: عماد الدين وقوامه النصيحة، كما يقال: « الحج عرفة »، أي: عماد الحج وقوامه الوقوف بعرفة. فيكون التقدير: معظم أركان الدين النصيحة، أو النَّصِيحَة أفضل الدّين وأكمله، كَمَا يُقَال: المَال الْإِبِل، فكأنه بولغ في النصيحة إلى أن جعل الدين إياها، وإن كان في الدين خصال أخرى غيرها.

الثاني: ويحتمل أن يحمل على ظاهره لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين. (٤)

قال ابن بطال: في هذا الحديث أن النصيحة تسمى دينا وإسلاما وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول. (٥)

رابعا: أهمية النصيحة وفضلها

للنصيحة أهمية بالغة لما لها من الأثر العظيم في حفظ عقائد وأخلاق الناس من الضياع

أولاً: النصيحة هي مهمة الرسل ووظيفتهم

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٢)

(٢) التعريفات الفقهية للبركتي (ص: ٢٢٨)

(٣) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٦٩١)

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٢١٩) وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد (١/ ١٢٤)وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٣٨) وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (١/ ٣٢١)

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٢٩)

لشرف النصيحة وعلو شأنها كانت خلقَ النبيين، وسبيلَ المتقين، قال تعالى على لسان نوح: {وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٦٢]

قال السعدي: أي: وظيفتي تبليغكم، ببيان توحيده وأوامره ونواهيه، على وجه النصيحة لكم والشفقة عليكم. (١)

وقال على لسان هود: {وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} [الأعراف: ٨٦]

قال القاسمي: أي: ناصح لكم فيما آمركم به من عبادته تعالى وحده، وأمين على تبليغ الرسالة، لا أكذب فيه. (٢)

وعلى لسان صالح: {وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف: ٧٩]

وقال على لسان شعيب: {وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)} [الأعراف: ٩٣].

ومِن أجْمَلِ ما وردَ في فَضْلِ النُّصْح والتوجِيه وَأَجْرِ النَّاصِحِين؛ قَوْلُ رَبِّ الْعَالَمِين: {إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحِين} {الأَعْرَاف/ ١٧٠}

قال السعدي: أي المصلحين في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم، مصلحين لأنفسهم ولغيرهم.

وهذه الآية وما أشبهها دلت على أن الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم. (٣)

فهذه النصوص القرآنية تفيد أن النصيحة من أبلغ ما يوجهها الأنبياء عليهم السلام إلى قومهم، وأنها تؤدي ثمارها في حالة السلب والإيجاب بالنسبة للناصح، فإن قبلها

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٩٣)

(٢) تفسير القاسمي (٥/ ١١٦)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٠٨)

القوم عاد نفعها عليه وعليهم في الدنيا والآخرة، وإن رفضوها فالنتيجة الحتمية هي العذاب لهم والأجر للناصح. إذاً فكل ناصح فهو مأجور على نصيحته مهما كانت النتائج، وذلك إذا خلصت نيته وعمل بتوجيهات الرب سبحانه وتعالى. (١)

ثانياً: النصيحة شملت مراتب الدين وجمعت خصال الخير

كما في الحديث الذي معنا، ويؤكد ذلك رواية أبي داود وغيره: « إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ». فاجتماع التأكيد مع الحصر يفيد شمول النصيحة جميع خصال الخير التي هي مراتب دين الإسلام.

ومما يبين ذلك قول الله تعالى: {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: ١ - ٣]

يقول ابن القيم: وهذا نهاية الكمال، فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكملاً لغيره. (٢)

فتأمل هذا الكلام الممتع، هذا هو الكمال الحقيقي، وهذه حقيقة النصيحة المأمور بها في هذه السورة { وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ }

وقال الحسنُ البصري: ما زال لِلهِ تعالى نُصحاء ينصحون للهِ في عِباده، وينصحون لِعبادِ الله في حقِّ الله، ويعلمون لله تعالى في الأَرض بالنَّصيحة، أُولئك خلفاءُ اللهِ في الأَرْض. (٣)

- ثالثا: النصيحة من أحب الأعمال إلى الله ومن أعظم ما عُبِدَ الله به

قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [فصلت: ٣٣]

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية (٢/ ٥٩)

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٦)

(٣) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٥/ ٦٨)

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن شئتم لأنصحن لكم، إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله تعالى إلى عباده ويعملون في الأرض نصحا. (١)

وسئل عبد الله بن المبارك: أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله. (٢)

وقال الحسن البصري: والذي نفسي بيده، إن شئتم لأقسمن لكم بالله إن أحب عباد الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحة. (٣)

وقال بعضُ السَّلفِ: أفضلُ الأعمالِ سلامةُ الصُّدُورِ، وسخاوةُ النُّفوسِ، والنصيحةُ للأمَّةِ، وبهذه الخصالِ بلغَ منْ بلغَ، لا بكثرةِ الاجتهادِ في الصَّومِ والصَّلاةِ. (٤)

رابعا: النصيحة من علامات كمال الإيمان

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ». (٥)

من أظهر علامات حب المسلمين الحرص عليهم والنصح لهم فيما يعود عليهم نفعه.

قال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير. (٦)

قال أبو بكر المزني: ما فاق أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ بصوم ولا بصلاة، ولكن بشيء كان في قلبه. قال ابن علية: الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة في خلقه. (٧)

- خامسا: النصيحة نوع من الجهاد

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٨٨)

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٧)

(٣) الترغيب والترهيب لقوام السنة (٣/ ٢٤٨)

(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٣٩٧)

(٥) رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥)

(٦) الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب (ص: ١٧)

(٧) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٥)

قال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة: ٩١].

فهؤلاء المذكورين ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد. (١)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنَّ أول ما تُغلبونَ عليه مِنَ الجِهادِ: الجهادُ بأيديكم، ثم الجهادُ بألسنتكم، ثم الجهادُ بقلوبكم، فمن لم يعرف قَلبهُ المعروفَ، ويُنكرُ قلبهُ المنكرَ، نُكِسَ فجُعِل أعلاه أسفلَه. (٢)

خامسا: النصيحة من حقوق المسلم على أخيه المسلم

قال الحسن البصري: المؤمن شعبة من المؤمن وهو مرآة أخيه، إن رأى منه ما لا يعجبه سدده وقوَّمه ونصحه في السر والعلانية. (٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: « حَقُّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتٌّ. . . فَذَكَرَ مِنْهَا: وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ». (٤)

وما أجمل ما قاله ابن تيمية: المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى. (٥)

قال ابن حبان: خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة، كما أن خير الأعمال أحمدها عاقبة وأحسنها إخلاصاً، وضرْبُ الناصح خيرٌ من تحية الشانئ. (١)

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٤٨)

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٤٥)

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٩٥)

(٤) رواه مسلم (٢١٦٢)

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣)

قال ابن عبد البر: كان يقال من أحبك نهاك ومن أبغضك أغراك. (٢)

وقال بعض الحكماء: ودّك من نصحك وقَلاكَ مَن مشى في هواك. (٣)

ومهما لقي المسلم من إخوانه من جفوة وأذى فلا ينبغي أن يترك نصحهم قال بعض العارفين لبعض طلابه: أوصيك بالنصح للمسلمين، نُصْحَ الكلب لأهله فإنهم يجيعونه ويطردونه ويأبى إلا أن يحوطهم ويحفظهم. (٤)

- سادسا: النصيحة من مكارم الأخلاق

قال المناوي: بالنصيحة يحصل التحابب والائتلاف، وبضدها يكون التباغض والاختلاف، وأقصى موجبات التحابب أن يرى الإنسان لأخيه ما يراه لنفسه. . . . . وما في مكارم الأخلاق أدق ولا أخفى ولا أعظم من النصيحة. (٥)

- سابعا: ترك النصيحة وإهمالها سبب اللعنة والعذاب

أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أن بني إسرائيل استحقوا اللعنة والحرمان والتشريد؛ لأنهم كانوا لا يتناصحون قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [المائدة: ٧٨، ٧٩]

أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضا، فيشترك بذلك المباشر، وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك. (١)

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٩٥)

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ١٨٥)

(٣) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٨٨)

(٤) فيض القدير (٣/ ٥٥٦)

(٥) فيض القدير (٦/ ٢٦٨)

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قال: « **مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا، ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا؛ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ** ». (٢)

خامسا: كيفية النصح لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين

إذا نظرنا إلى حقيقة النصيحة وجدنا أنها على ضربين:

١- تكميل نقص وسدُّ خلل: وهذا في حق العباد الذين يصيبهم النقص، وتقع منهم الأخطاء والذنوب والآثام، ويتصور منهم التقصير.

٢- وصف بالكمال: وهذا في حق الله تبارك وتعالى، وفي حق كتابه الكريم، وفي حق النبي ﷺ. (٣)

قال الخطابي: وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد في نصحه نفسه فإن الله سبحانه غني عن نصح الناصح. (٤)

سئل أحد السلف عن معنى النصح لله؟ قال: أن تبدأ بحق الله تعالى قبل حق الناس، وإن عرض لك أمران: أحدهما لله، والآخر للدنيا، بدأت بحق الله تعالى. (٥)

أولا: النصيحة لله

من صور النصيحة لله تعالى:

١ - الإيمان به ونفي الشريك عنه. وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص.

٢ - ترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها.

٣ - القيام بطاعته واجتناب معصيته.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٤١)

(٢) رواه أحمد (١/ ٩) وأبو داود (٤٣٣٨) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٢٢)

(٣) فقه النصيحة (ص: ٢)

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٨)

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٢١٩)

obeikan.com

٤ – الحب فيه والبغض فيه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه وجهاد من كفر به.

٥ – الخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه بفعل طاعته والرهبة من مساخطه بترك معصيته والجهاد في رد العاصين إليه. (١)

٦– التزام الأدب مع الله سبحانه في كل أحواله

والأدب مع الله تبارك وتعالى: هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهرا وباطنا.

والأدب هو الدين كله. وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه. وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره؛ فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب.

قال ابن مبارك: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

وقال أبو علي الدقاق: ترك الأدب يوجب الطرد. فمن أساء الأدب على البساط رُدَّ إلى الباب. ومن أساء الأدب على الباب رُدَّ إلى سياسة الدواب. (٢)

ثانيا: النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى

وتشمل صور عدة منها:

١ – الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق.

٢ – تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة.

٣ – الذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين.

٤ – التصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله.

٥ – الاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه.

---

(١) راجع في ذلك معالم السنن للخطابي (٤/ ١٢٦) وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤/ ٢١٩) وشرح النووي على مسلم (٢/ ٣٨) وجامع العلوم والحكم (١/ ٢١٩)

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٦٣ – ٣٦٨) باختصار وتصرف

٦ – البحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه.

٧– تعلمه وتعليمه ودعوة الناس إلى هديه

قال عبّاد بن عبّاد الخوّاص الشّاميّ: ناصحوا الله في أمّتكم إذ كنتم حملة الكتاب والسّنّة. فإنّ الكتاب لا يَنطق حتّى يُنطق به، وإنّ السّنّة لا تَعمل حتّى يُعمل بها، فمتى يتعلّم الجاهل إذا سَكَت العالم، فلم يُنكر ما ظهر ولم يأمر بما ترك، وقد أخذ الله ميثاق الّذين أوتوا الكتاب ليبيّننّه للنّاس ولا يكتمونه. . . . ولا تكتفوا من السّنّة بانتحالها بالقول دون العمل بها، فإنّ انتحال السّنّة دون العمل بها كذب بالقول مع إضاعة العلم. (١)

ثالثا: النصيحة لرسوله ﷺ:

ومن صور النصيحة لرسوله ﷺ:

١ – كمال التسليم له، والانقياد لأمره واجتناب نهيه، وتلقي خبره بالقبول والتصديق

قال تعالى: { فَلاَ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]

وقال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا } [الأحزاب: ٢١، ٢٢]

٢ – نصرته حيًّا وميتا ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه.

قال تعالى في وصف المهاجرين الأولين: { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } [الحشر: ٨]

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٥٠٨)

وبعث النبي ﷺ أبيّ بن كعب يوم أُحد، يتفقد سعد بن الربيع بين من جُرح أو قتل، فقال لأُبيّ: أقرئ رسول الله ﷺ مني السلام، وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله ﷺ وفيهم عينٌ تطرف، قال أبيّ: فلم أبرح عنده حتى مات، وأخبرت النبي ﷺ فقال: « رحمه الله تعالى، نصح لله ولرسوله حيا وميتا ». (١)

٣ - إعظام حقه وتوقيره.

قال تعالى: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الفتح: ٩]

٤ – التمسك بسنته والاهتداء بهديه مهما كانت الظروف

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به، إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ. (٢)

وقال إبراهيم بن هانئ: اختفى عندي أحمد بن حنبل – أيام المحنة –، ثلاث ليال ثم قال لي اطلب لي موضعا حتى أدور، قلت: إني لا آمن عليك يا أبا عبد الله! فقال: إن النبي ﷺ اختفى في الغار ثلاثة أيام، وليس ينبغي أن تُتبع سنة رسول الله ﷺ في الرخاء وتترك في الشدة. (٣)

٥- التخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه.

٦ – محبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه.

---

(١) رواه مالك في الموطأ ط عبد الباقي (٤١) عن يحيى بن سعيد مرسلا، ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٥٩٠) عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه عن جده أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد. . . وربيح مقبول، وأبوه وثقه مسلم والنسائي ولينه ابن سعد.

(٢) رواه البخاري (٣٠٩٣) ومسلم (١٧٥٩)

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٢١)

رابعا: النصيحة لأئمة المسلمين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ ». (١)

قال ابن عبد البر: فيه إيجاب النصيحة على العامة لولاة الأمر وهم الأئمة والخلفاء وكذلك سائر الأمراء. (٢)

وعن زَيْد بْن ثَابِتٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول « ثَلاَثُ خِصَالٍ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلاَةِ الأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ ». (٣)

ومن صور النصيحة لأئمة المسلمين:

١ - إعانتهم على ما حملوا القيام به.

٢ - تنبيههم عند الغفلة وسد خلتهم عند الهفوة وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم.

٣ - دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن.

٤ - معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف.

٥ - إعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين.

٦ - ترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

٧ - الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم.

٨ - أن لا يُغرّوا بالثناء الكاذب عليهم.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٦٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٣٨٥)

(٢) التمهيد (٢١/ ٢٨٤)

(٣) رواه أحمد (٥/ ١٨٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ١١٤٦)

openkan.com

٩ - أن يدعى لهم بالصلاح.

قال الفضيل بن عياض: لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان.

قيل له: يا أبا علي فسر لنا هذا. قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد.

قال البربهاري معلقا: فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا، وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين. (١)

خامسا: النصيحة لعامة المسلمين:

ويندرج تحت النصيحة لعامة المسلمين صور كثيرة منها:

١ - الشفقة عليهم.

٢ - السعي في قضاء حوائجهم، وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فقَالَ ﷺ: « أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تَدْخِلُهُ عَلَى مُؤْمِنٍ تَكْشِفُ عَنْهُ كَرْبًا أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي المَسْجِد شهرا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رِضًى وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ ». (٢)

٣ - تعليمهم ما ينفعهم وكف وجوه الأذى عنهم.

---

(١) شرح السنة للبربهاري (ص: ١١٤)

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف (ص: ٨٠) والطبراني (١٣٦٤٦) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٧٦)

obeikan.com

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ ». (١)

٤ – أن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه.

٥ – إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم.

٧ – الحرص على نجاتهم ولو كان في ذلك عطبه.

قال ابن رجب: من أنواع نصحهم: الرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محبة لإزالة فسادهم ولو بحصول ضرر له في دنياه، كما **قال بعض السلف**: وددت أن هذا الخلق أطاعوا الله وإن لحمي قرض بالمقاريض.

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: يا ليتني عملت فيكم بكتاب الله وعملتم به، فكلما عملت فيكم بسنة، وقع مني عضو حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي. (٢)

٨ – توقير كبيرهم ورحمة صغيرهم.

٩ – تخولهم بالموعظة الحسنة.

١٠ – ترك غشهم وحسدهم.

١١ – الذب عن أموالهم وأعراضهم

---

(١) رواه أبو داود (٤٩١٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٣٠)

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٣)

obeikan.com

تأملات في سورة الإخلاص (١)

لماذا سميت بسورة الإخلاص؟ سبب نزولها فضلها ومكانتها وثوابها

سورة الإخلاص مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي. (١)

لماذا سمِّيَت بسورة الإخلاص؟

قال ابن الأثير: سمِّيَت بذلك لأنَّها خالِصة في صِفة الله تعالى وتقدَّس، أو لأن اللافظ بها قد أخلَص التوحيد لله عز وجل، وسمِّيَت كذلك - لا إله إلَّا الله - كلمة الإخلاص؛ لأن اللافظ بها قد أخلص التوحيد لله عزَّ وجل. (٢)

وسورة الإخلاص فسَّر بعضها بعضا، فإذا سألتَ من الإله المعبود؟ هو الله. ومن الله؟ الأحد. ومن الأحد؟ الصمد، ومن الصمد؟ الذي لم يلد ولم يولد، ومن الذي لم يلد ولم يولد؟ الذي لم يكن له كفوا أحد. (٣)

سبب نزولها:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ الْيَهُودَ جَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ}. (٤)

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٢٧) وتفسير البغوي (٥/ ٣٢٩) وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٨٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٦١) و لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٦)

(٣) تفسير القشيري (٣/ ٧٨٣)

(٤) رواه الهروي في ذم الكلام وأهله (٤/ ١٠٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٠٦) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٥٦)، ورواه الترمذي (٣٣٦٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ فأنزل الحديث، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٧/ ٣٦٤)

فضلها ومكانتها وثوابها

- من أعظم سور القرآن إن لم تكن أعظمها على الإطلاق

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: « يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الزَّبُورِ وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ، لاَ يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلاَّ قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وَ{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} وَ{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}». ، قَالَ عُقْبَةُ: فَمَا أَتَتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ إِلاَّ قَرَأْتُهُنَّ فِيهَا، وَحُقَّ لِي أَنْ لاَ أَدَعَهُنَّ وَقَدْ أَمَرَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ. (١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: « نعم السورتان هما، تقرآن في ركعتي الفجر: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد ». (٢)

- هي دليل على صدق إيمان ومعرفة قارئها لربه تعالى

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلاً قَامَ يَرْكَعُ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، وَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ حَتَّى انْقَضَتِ السُّورَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « هَذَا عَبْدٌ عَرَفَ رَبَّهُ »، وَقَرَأَ فِي الْآخِرَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى انْقَضَتِ السُّورَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « هَذَا عَبْدٌ آمَنَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ». (٣)

قال البدر العيني رحمه الله: إنما قال ذلك عند قراءة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؛ لأنها تشتمل على نفي العبادة لغير الله تعالى، ونفي التوحيد عن غيره، فهذا هو عين الإيمان؛ ولذلك

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٨) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٢٩٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ٨٥٩)

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٣٩) وابن ماجه (١١٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٤٦)

(٣) رواه والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٢٩٨) وابن حبان (٢٤٦٠) وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٤/ ٢٠٠)

قال عند قراءة سورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}: هذا عبد عرف ربه؛ لأنها تشتمل على صفات الله تعالى، فمن قرأها فقد عرف ربه بالوحدانية والصمدية، وبأن لا والد ولا ولد له، ولا كفء له ولا نظير وأنه فردٌ صمد أحد واحد، تعالى الله وتقدس. (١)

- تعدل ثلث القرآن

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ ». (٢)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ » قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ». (٣)

وفي لفظ عند مسلم: « إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ »

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « احْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ »، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: « إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ». (٤)

لماذا عدلت ثلث القرآن؟

---

(١) نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار للبدر العيني (٥/ ١٣٣)

(٢) رواه البخاري (٥٠١٣)

(٣) رواه مسلم (٨١١) ورواه البخاري (٥٠١٥) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه مسلم (٨١٢)

قال ابن تيمية: لأن القرآن ثلاثة أقسام قسم توحيد وقسم قصص وقسم أمر ونهي وهذه السورة فيها التوحيد وحده. فالقرآن كلام الله، والكلام إما إنشاء وإما إخبار، والإخبار إما عن الخالق وإما عن المخلوق، فصار ثلاثة أجزاء: جزء أمر ونهي وإباحة وهو الإنشاء، وجزء إخبار عن المخلوقين، وجزء إخبار عن الخالق، وليس في القرآن سورة هي وصف الرحمن محضا إلا هذه السورة. (١)

- ولأنها سورة جمعت جميع أوصاف الكمال

قال القرطبي: اشتملت { قل هو الله أحد } على اسمين يتضمنان جميع أوصاف الكمال وهما الأحد والصمد: فإنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، فالأحد في أسماء الله تعالى مشعر بوجوده الخاص به الذي لا يشاركه فيه غيره وأما الصمد فإنه يتضمن جميع أوصاف الكمال لأن معناه الذي انتهى سؤدده بحيث يصمد إليه في الحوائج كلها وهو لا يتم حقيقة إلا لله. . . . . ولذلك عادلت ثلث القرآن. (٢)

- وهي السورة التي جمعت أصول التوحيد

قال ابن القيم رحمه الله: سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، لأن في اسمه الصمد إثبات كل الكمال، وفي نفي الكفء التنزيه عن الشبيه والمثال. وفي الأحد نفي كل شريك لذي الجلال، وهذه الأصول الثلاثة هي مجامع التوحيد. (٣)

إذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، فهل يُستغنى بها عن بقية القرآن؟

قال شيخ الإسلام: إذا قرأ الإنسان {قل هو الله أحد} حصل له ثواب بقدر ثواب ثلث القرآن؛ لكن لا يجب أن يكون الثواب من جنس الثواب الحاصل ببقية القرآن بل

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٥٤١) ومجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٤) ومنهاج السنة النبوية (٣/ ٢٩١)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٥٧)

(٣) الطب النبوي لابن القيم (ص: ١٣٤)

قد يحتاج إلى جنس الثواب الحاصل بالأمر والنهي والقصص فلا تسد ({قل هو الله أحد} مسدّ ذلك ولا تقوم مقامه. . . فالمعارف التي تحصل بقراءة سائر القرآن لا تحصل بمجرد قراءة هذه السورة فيكون من قرأ القرآن كله أفضل ممن قرأها ثلاث مرات من هذه الجهة لتنوع الثواب وإن كان قارئ ({قل هو الله أحد} ثلاثا يحصل له ثواب بقدر ذلك الثواب لكنه جنس واحد ليس فيه الأنواع التي يحتاج إليها العبد؛ كمن معه ثلاثة آلاف دينار وآخر معه طعام ولباس ومساكن ونقد يعدل ثلاثة آلاف دينار؛ فإن هذا معه ما ينتفع به في جميع أموره وذاك محتاج إلى ما مع هذا وإن كان ما معه يعدل ما مع هذا. (١)

- الدعاء بها مستجاب لأنها حوت اسم الله الأعظم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ »، قَالَ: فَقَالَ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ». (٢)

قال ابن القيم: فأخبر أن هذا هو الاسم الأعظم لما تضمنه من الحمد والثناء والمجد والتوحيد، ولمحبة الرب تعالى لذلك أجاب من دعا به. (٣)

وعن مِحْجَن بْن الْأَدْرَعِ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلاَتَهُ، وَهُوَ يَتَشَهَّدُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اَللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٨)

(٢) رواه أبو داود (١٤٩٣) والترمذي (٣٤٧٥) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٠٨)

(٣) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٨٧)

يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ: فَقَالَ: « قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ » ثَلاَثًا. (١)

- أعظم ما يُرد به وسوسة الشيطان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لاَ يَزَالُونَ يَسْأَلُونَ حَتَّى يُقَالُ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؟ ». قَالَ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَجَالِسٌ يَوْمًا إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَجَعَلْتُ أُصْبُعَيَّ فِي أُذُنَيَّ، ثُمَّ صِحْتُ، فَقُلْتُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. (٢)

- سبب لمغفرة الذنوب

عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، قَالَ: « أَمَّا هَذَا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ »، وَسَمِعَ آخَرَ يَقْرَأُ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فَقَالَ: « أَمَّا هَذَا فَقَدْ غُفِرَ لَهُ ». (٣)

- توجب لصاحبها ومحبها الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَجَبَتْ ». قُلْتُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: « الجَنَّةُ ». (٤)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ لَهُمْ فِي الصَّلاَةِ يَقْرَأُ بِهَا، افْتَتَحَ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ

---

(١) رواه أبو داود (٩٨٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داود - الأم (٤/ ١٤٠)

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٨٧) وأبو داود (٤٧٢٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٥٩)

(٣) رواه أحمد (٤/ ٦٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٩٣٨)

(٤) رواه الترمذي (٢٨٩٧) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦/ ٣٩٧)

يَقْرَأُ بِسُورَةٍ أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ. فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِيكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، قَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِهَا فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَهُ أَفْضَلَهُمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ. فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الخَبَرَ. فَقَالَ: « يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ »؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ** ». (١)

قال ابن القيم: دلّ الحديث على أن مَن أحب صفات الله أحبه اللهُ وأدخله الجنة. (٢)

- يُبنى لقارئها بيت في الجنة:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ قَرَأَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِذًا نَسْتَكْثِرَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ ». (٣)

- حصنٌ حصين وحرزٌ متين لمن تعوَّذ بها

---

(١) رواه البخاري معلقا (١/ ١٥٥) ووصله الترمذي عن البخاري في سننه (٢٩٠١) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٦٥٧)

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٧)

(٣) رواه أحمد (٣/ ٤٣٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٤) ومعنى قوله: إذا نستكثر، أي: نطلب من الله تعالى الأجر الكثير بأن نقرأ العشرات مراراً. وقوله: "الله أكثر"، أي: أجره أكثر مما تستحقونه بأعمالكم، أو من كل كثير، وأطيب من كل طيب، فاستكثروا منه.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قُلْ » قُلْتُ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » فَقَرَأَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: « لَمْ يَتَعَوَّذِ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ، أَوْ لَا يَتَعَوَّذُ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ ». (١)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. (٢)

- تكفي صاحبها شر كل ذي شر

عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: أَصَلَّيْتُمْ؟ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: « قُلْ » فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: « قُلْ » فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: « قُلْ » فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: « قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ». (٣)

قال الطيبي: تَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ: أي قراءة السور الثلاث صباحا ومساء تدفع عنك كل سوء. (٤)

- حبها سبب لمحبة الله للعبد

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: « سَلُوهُ

---

(١) رواه النسائي في المجتبى (٨/ ٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣١٦)

(٢) رواه البخاري (٥٠١٧)

(٣) رواه أبو داود (٥٠٨٢) والنسائي (٨/ ٢٥٠) وحسنه الألباني في صحيح النسائي (١١/ ٤٢٨)

(٤) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (٧/ ٢٣٩)

لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ » فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ ». (١)

قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة ويحتمل أن يكون لما دل عليه كلامه لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده. (٢)

obeikan.com

(١) رواه البخاري (٧٣٧٥) ومسلم (٨١٣)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٥٧)

عبادة التفكر (١)

مقدمة معنى التفكر مقصود التفكر مجالاته ومظاهره

مقدمة: إن عبادة التفكر من أعمال القلوب العظيمة، التي هي مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار، وشبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم، وهي عبادة الأنبياء، ودرب الأتقياء، نورٌ لمن تفكّر، وطريقٌ موصلةٌ للخالق تبارك وتعالى، من تبحّر فيها وجد الآيات الباهرات، وجميل المعجزات، وكلما كان الإنسان أكثر تفكرا وتأملا في خلق الله وأكثر علما بالله تعالى وعظمته كان أعظم خشية لله تعالى كما قال سبحانه: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر: ٢٨]

فما معنى التفكر؟ وما أهميته؟ وفي أي شيء يكون التفكر؟ وما هي أسبابه؟ وما هي ثمرته؟

التفكر هو:

إعمال العقل في أسرار ومعاني الآيات الشرعية والكونية عن طريق التأمل والتدبر وملاحظة وجه الكمال والجمال ومشاهدة الدقة وحسن التنظيم والسنن الكونية والتماس الحكمة والعبرة من وراء ذلك. (١)

مقصود التفكر

مما تقدم ندرك أن التفكر عمل قلبي مستمر، ومناطه العقل، وهو عملية لا تقصد بذاتها وإنما بما يحصله المرء منها، وهو الاعتبار والعمل والطاعة، ولذلك فسَّر **مجاهد** قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}. قال: يطيعون، فالتفكر مآله الطاعة والتسليم والانقياد لله رب العالمين، وإلا فلا فائدة منه. (١)

(١) خالد بن سعود البليهد / العبادة الصامتة / موقع صيد الفوائد

obeikan.com

قال الشيخ ابن عثيمين: التفكر: هو أن الإنسان يعمل فكره في الأمر، حتى يصل فيه إلى نتيجة، وقد أمر الله تعالى به - أي بالتفكر - وحث عليه في كتابه، لما يتوصل إليه الإنسان به من المطالب العالية والإيمان واليقين. (٢)

قال الشيخ السعدي: مجرد نظر العين، وسماع الأذن، وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار، غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب. (٣)

ولهذا قال الحسن البصري: ما زال أهل العلم يعودون بالتفكر على التذكر، وبالتذكر على التفكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت، فإذا لها أسماع وأبصار، فنطقت بالحكمة وضَربتِ الأمثالَ، فأَورَثتِ العلم. (٤)

ويتضح ذلك المعنى جليا في فعله ﷺ كما جاء **عن ابن عباس** رضي الله عنهما أنه بات عند خالته ميمونة رضي الله عنها، فقال في حديثه: فقام رسول الله ﷺ فمسح النوم عن وجهه ثم قرأ الآيات العشر الخواتم من سورة آل عمران، وقام إلى شَنٍّ معلَّق فتوضأ وضوءا خفيفا ثم صلى ثلاث عشرة ركعة، الحديث. (٥)

قال القرطبي: فانظروا رحمكم الله إلى جمعه بين التفكر في المخلوقات ثم إقباله على صلاته بعده، وهذه السنة هي التي يعتمد عليها. فأما طريقة الصوفية أن يكون الشيخ منهم يوما وليلة وشهرا مفكرا لا يفتر، فطريقة بعيدة عن الصواب غير لائقة بالبشر،

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٦٦/ ١٢٧) موضوع بعنوان التفكير في آيات الله ومخلوقاته في ضوء الكتاب والسنة / للدكتور عبد الله بن إبراهيم اللحيدان

(٢) شرح رياض الصالحين (١/ ٥٧٦)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٤١)

(٤) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٦٥)

(٥) رواه البخاري (١٨٣) ومسلم (٧٦٣)

ولا مستمرة على السنن. (١)

منزلة عبادة التفكر وأهميتها

هذه العبادة لها منزلة رفيعة ومكانة عالية في شريعتنا، ولها الأثر البالغ في النفوس والتأثير العظيم في القلوب ومع ذلك يجهل فضلها كثير من الناس فضلا عن حقيقتها، قال الغزالي: كَثُر الحثُّ في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره وموارده. (٢)

لذلك نورد بعض الأدلة التي تشوق النفوس وتحث الهمم على معرفة وطلب هذه العبادة العظيمة

١- الدعوة إلى التفكر من أجل الانتفاع بالآيات

لقد وردت آيات عديدة في القرآن العظيم في الحث على التفكر في مواضع عديدة ختمت بالدعوة إلى التفكر { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الرعد: ٣] وفي مواضع أخرى غيرها، ومن ذلك أيضا قوله تعالى {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [يونس: ٢٤]

قال البقاعي: أي يجددون الفكر على وجه الاستمرار والمبالغة؛ والختم بالتفكر إشارة إلى الاهتمام بإعطاء المقام حقه. (٣)

وقال تعالى { قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ } [يونس: ١٠١]

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٣١٥)

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٢٣)

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٩/ ١٠٣) (١٠/ ٢٧٧)

قال ابن الجوزي: وليس المراد بالنظر إلى ما في السموات والأرض ملاحظته بالبصر، وإنما هو التفكر في قدرة الصانع. (١)

٢- لأنهم أصحاب العقول السليمة

قال تعالى { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [البقرة: ٢٦٩]

قال مالك بن أنس: الحكمة التفكر في أمر الله والاتباع له. (٢)

قال ابن القيم: الناس ثلاثة: رجل قلبه ميت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست هذه الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجل له قلب حي مستعد، لكنه غير مستمع للآيات المتلوة وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب، ليس حاضرا، فهذا أيضا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

الثالث: رجل حي القلب مستعد، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملق السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة. (٣)

٣- وذم الله المعرضين عن الآيات التاركين للتفكر فيها والاعتبار بها

قال تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف: ١٠٥]

---

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٦٥)

(٢) تفسير القرطبي (٣/ ٣٣٠)

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٤١)

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده، بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت، وسيارات وأفلاك دائرات، والجميع مسخرات. (١)

وقال تعالى: { أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى} [الروم: ٨]

قال ابن كثير: يقول تعالى منبها على التفكر في مخلوقاته، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وإنه لا إله غيره ولا رب سواه، فقال: {أولم يتفكروا في أنفسهم} يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق. (٢)

٤- النبي ﷺ يتفكر ويعلمنا كيف نتفكر

لقد كانت عبادة التفكر دأب النبي ﷺ منذ تحنثه وهو شاب في غار حراء، وظل ذلك ديدنه حتى لحق بالرفيق الأعلى، **عن ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ؛ فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَخَرَجَ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}. حَتَّى بَلَغَ {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ثُمَّ اضْطَجَعَ ثُمَّ قَامَ، فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَتَلاَ هَذِهِ الْآيَةَ، ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ". (٣)

قال النووي: فيه أنه يستحب قراءتها عند الاستيقاظ في الليل مع النظر إلى السماء لما في ذلك من عظيم التدبر، وإذا تكرر نومه واستيقاظه وخروجه استحب تكريره قراءة

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٤١٨)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٣٠٥)

(٣) رواه مسلم (٢٥٦)

هذه الآيات كما ذكر في الحديث. (١)

قال ابن تيمية: والنظر إلى المخلوقات العلوية والسفلية على وجه التفكر والاعتبار مأمور به مندوب إليه. (٢)

وعَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فقال ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: « يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي » قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ ، قَالَ: « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. . . } » الْآيَةَ كُلَّهَا. (٣)

وتوعد النبي ﷺ مَن قرأها ولم يتفكر فيها لأن فيها لطائف عظيمة، وعوارف جسيمة لمن تأمل في مبانيها، وتبين له بعض معانيها. (٤)

عن عبد الرحمن بن سليمان قال: سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن وما ينجيه من هذا الويل؟ فأطرق هنية ثم قال: يقرؤهن وهو يَعْقِلُهن. (٥)

٥ – السلف يتفكرون

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤٦)

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٤٣)

(٣) رواه ابن حبان (٦٢٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٤٧)

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي (٣/ ٩٠٣) بتصرف

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ١٩٠)

عن عون بن عبد الله بن عتبة، قال: سألت أم الدرداء: ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعتبار. (١)

وشرب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ماء باردا فبكى فاشتد بكاؤه فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ: **٥٤**]، قال: فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئا إلا الماء البارد، وقد قال الله عز وجل: {أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} [الأعراف: **٥٠**]. (٢)

وقام محمد بن المنكدر ذات ليلة يصلي فبكى وكثر بكاؤه حتى فزع أهله، وسألوه ما الذي أبكاه فاستعجم عليهم، وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه، فإذا هو يبكي، قال: يا أخي، ما الذي أبكاك؟ قد رُعْتَ أهلك، أفَمِنْ عِلةٍ؟ أم ما بك؟ قال: فقال: إنه مرت بي آية في كتاب الله عز وجل، قال: وما هي؟ قال: قول الله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر: **٤٧**] قال: فبكى أبو حازم أيضا معه واشتد بكاؤهما، قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه فزدته، قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما. (٣)

عن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي، قال: رأيت داود الطائي، يوما قائما على شاطئ الفرات مبهوتا، فقلت: ما يوقفك ههنا يا أبا سليمان؟ قال: أنظر إلى الفلك كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى. (٤)

٦- التفكر من العبادات القلبية التي هي أشرف من أعمال الجوارح

---

(١) الزهد لوكيع (ص: **٤٧٤**)

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: **١٥٦**)

(٣) حلية الأولياء (**٣**/ **١٤٦**)

(٤) حلية الأولياء (**٧**/ **٣٥٦**)

عن أَبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أنه كَانَ يَقُولُ: تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ. (١)

قال ابن القيم: الفكرة عمل القلب والعبادة عمل الجوارح والقلب أشرف من الجوارح فكان عمله أشرف من عمل الجوارح. (٢)

٧ - حياتك تبع لأفكارك

قال الشيخ السعدي: اعلم أن حياتك تبع لأفكارك، فإن كانت أفكارا فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا فحياتك طيبة سعيدة، وإلا فالأمر بالعكس. (٣)

مجالات ومظاهر التفكر

- التفكر في الآيات الشرعية

قال ابن القيم: فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته. (٤)

قال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: ٤٤]

قال السعدي: أي يتفكرون فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه. (٥)

وأعظم الناس هداية وأسلمهم عاقبة في الدنيا والآخرة، مَن طلب الهداية في كتاب الله قال تعالى: { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ}

---

(١) الزهد لابن المبارك (١/ ٣٣٢)

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٠)

(٣) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة (ص: ٣٠)

(٤) مدارج السالكين (١/ ٤٥٠)

(٥) تفسير السعدي (ص: ٤٤١)

obeikan.com

[المائدة: ١٥، ١٦] وقال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩]

قال ابن القيم: فلا تزال معاني القرآن تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التضمر والتخفف للقاء اليوم الثقيل، وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل. (١)

التفكر في الآيات الكونية

– **إن التفكر في الكون يورث الحكمة**، ويحيي القلوب، ويغرس فيها الخوف والخشية من الله عز وجل. قال تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]

قال السعدي: حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: {آيات} ولم يقل: "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية. (٢)

الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ ... وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ فَيْضٌ مِنْ عَطَايَاهُ

الطَّيْرُ سَبَّحَهُ وَالْوَحْشُ مَجَّدَهُ ... وَالْمَوْجُ كَبَّرَهُ وَالْحُوتُ نَاجَاهُ

وَالنَّمْلُ تَحْتَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَدَّسَهُ ... وَالنَّحْلُ يَهْتِفُ حَمْدًا فِي خَلايَاهُ

وَالنَّاسُ يَعْصُونَهُ جَهْرًا فَيَسْتُرُهُمْ ... وَالْعَبْدُ يَنْسَى وَرَبِّي لَيْسَ يَنْسَاهُ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥١)

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٦١)

- **التفكر في الكون يكشف عن عظمة الخالق في خلقه**، ويجعل المرء يقر بوحدانية الله تعالى، ويتواضع لعظمته، ويحاسب نفسه على أخطائها فيزداد إيماناً وصفاء.

قال ابن كثير: من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه، **كما قال بعض الأعراب**، وقد سئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع! ! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال: هاهنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

فمن تأمل هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار المنيرة من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار الملتفة للأرض من كل

جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال: { وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: ٢٧، ٢٨] وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر لمنافع العباد وما زرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء، علم وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم لا إله غيره ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب. (١)

- التفكر في النفس

من تفكَّر في إبداع الخالق سبحانه في خلق هذه النفس علم الغاية التي خلق من أجلها

قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة. (٢)

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات: ٥٦]

لِلَّهِ فِي الآفَاقِ آيَاتٌ لَعَـ ... ـلَّ أَقَلَّهَا هُوَ مَا إِلَيْهِ هَدَاكَا

وَلَعَلَّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ آيَاتِهِ ... عَجَبٌ عُجَابٌ لَوْ تَرَى عَيْنَاكَا

وَالْكَوْنُ مَشْحُونٌ بِأَسْرَارٍ إِذَا ... حَاوَلْتَ تَفْسِيرًا لَهَا أَعْيَاكَا

ولقد ندبنا الله عز وجل إلى التفكر في خلق الإنسان والنظر في ذلك في مواضع عدة من كتابه الكريم فقال تعالى { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ } [الطارق: ٥ – ٧] وقال تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ } [الذاريات: ٢٠، ٢١]

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ١٩٧– ١٩٨)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٤١٩)

قال ابن كثير: فجميع أهل الأرض -بل أهل الدنيا - منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة: كل له عينان وحاجبان، وأنف وجبين وفم وخدان. وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهرا كان أو خفيا، يظهر عند التأمل، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى. ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر. (١)

- التفكر في حقارة الدنيا وسرعة زوالها وشرف الآخرة وبقائها

قال ابن القيم: وأنفع الفكر؛ الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها وفي دفع مفاسد المعاد وفي طرق اجتنابها. (٢) قال تعالى: { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [البقرة: ٢١٩ -٢٢٠]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها، وإقبال الآخرة، وبقائها.

وقال قتادة: تتفكرون في الدنيا والآخرة، فتعرفون فضل الآخرة على الدنيا.

وقال أيضا: من فكر في الدنيا والآخرة عرف فضل إحداهما على الأخرى وعرف أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء وأن الآخرة دار بقاء ثم دار جزاء.

وقال ابن جريج: أما الدنيا فتعلمون أنها دار بلاء ثم فناء، والآخرة دار جزاء ثم بقاء، فتتفكرون، فتعملون للباقية منهما. (٣)

وكان النبي ﷺ كثيرا ما يبين لأصحابه حقيقة الدنيا ويحذرهم من الركون إليها، **فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١٠)

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٨)

(٣) راجع تفسير الطبري (٣/ ٦٩٧) وما بعدها، وحلية الأولياء (٢/ ٣٣٩)

غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. (١)

قال ابن رجب: هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر: يهيئ جهازه للرحيل. وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى حاكيا عن مؤمن آل فرعون أنه قال: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر: **٣٩**]. (٢)

وهذه حالُه ﷺ مع الدنيا، **فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود** رضي الله عنه، قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا ». (٣)

- التفكر في مصارع الظالمين

من مجالات التفكر العظيمة، التفكر في مصارع الأمم الغابرة، فيما نقل من أخبارهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة، كيف كانوا؟ وأين هم الآن؟ {فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً} [القصص: **٥٨**] وقد قص القرآن الكريم علينا قصص أولئك الأمم: عاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط، وغيرهم، وقص علينا نبأ الذين استكبروا وطغوا وتجبروا: فرعون وهامان وقارون وغيرهم، بماذا قابلوا نعم الله عليهم وماذا كان مصيرهم؟. (٤) قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦)

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٧)

(٣) رواه الترمذي (٢٣٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٨٩)

(٤) مجلة البحوث الإسلامية (٦٦/ ١٦٠)

(٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَدِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر: ٦ - ١٤]

وقد دعا النبي ﷺ إلى الاتعاظ بهؤلاء الأقوام الذين استحقوا مقت الله وغضبه، **عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ،** قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ { على هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ }، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ { فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ } حَذَرًا، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ ». ثُمَّ زَجَرَ ناقتَه فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَّفَهَا. (١)

وعند مسلم: عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى الْحِجْرِ - أَرْضِ ثَمُودَ - فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا، وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ.

قال ابن حجر: ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكر والاعتبار فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك، **والتفكر أيضا** في مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به والطاعة له فمن مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتبارا بأحوالهم فقد شابههم في الإهمال ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم. (٢)

---

(١) رواه البخاري (٤٣٣) ومواضع أخر ومسلم (٢٩٨٠)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٣١)

كفران النعم وشكرها

إن من تمام تحقيق العبودية لله عز وجل أن يخضع العبد لربه فيشكره على نعمائه الظاهرة والباطنة، ومَنْ شَكَرَ مَعْرُوفَ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَنَشَرَ أَفْضَالَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، فَقَدْ أَدَّى حَقَّ النِّعْمَةِ، وَقَضَى مُوجِبِ الصَّنِيعَة، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا اسْتِدَامَةُ ذَلِكَ إِتْمَامًا لِشُكْرِهِ لِيَكُونَ لِلْمَزِيدِ مُسْتَحِقًّا وَلِمُتَابَعَةِ الْإِحْسَانِ مُسْتَوْجِبًا[1].

نعم الله لا تعد ولا تحصى

إن نعم الله على العباد كثيرة لا تعد ولا تحصى ولا سبيل لاستقرار هذه النعم وثباتها إلا بشكرها

وقال جل ثناؤه: {وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: ٣٤]

قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ: " إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى الْعِبَادِ عَلَى قَدْرِهِ، وَكَلَّفَهُمُ الشُّكْرَ عَلَى قَدْرِهِمْ حَتَّى رَضِيَ مِنْهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِالِاعْتِرَافِ بِقُلُوبِهِمْ بِنِعَمِهِ، وَبِالْحَمْدِ بِأَلْسِنَتِهِمْ عَلَيْهَا"[2].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يُعدِدُ تعالى نعمَه على خلقِه، بأن خلق لهم السماوات سقفًا محفوظًا والأرض فراشًا، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجًا من نبات شتى، ما بين ثمار وزروع، مختلفة الألوان والأشكال، والطعوم والروائح والمنافع، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخر البحر يحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى هاهنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر، رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع "[1].

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي(ص: **٢٥٣**).

(٢) جامع العلوم والحكم (**٢/ ٧٩**)، لابن رجب.

ومعنى ((إن تعدوا)): أي: وإن تتعرضوا لتعداد نعم الله التي أنعم بها عليكم إجمالا فضلا عن التفصيل لا تطيقوا إحصاءها بوجه من الوجوه، ولا تقوموا بحصرها على حال من الأحوال وذلك مثل النعم المعتاد بها التي ينسى الناس أنها من النعم، كنعمة التنفس، ونعمة الحواس، ونعمة هضم الطعام(٢).

هلاك الأمم

لقد قص الله عز وجل علينا في كتابه من أخبار الأمم السابقة، وكيف أنعم عليهم بالكثير فلما لم يوفوا حق الله في شكر تلك النعم كان الجزاء تبديل هذه النعم إلى نقم، والجزاء من جنس العمل.

فصنف منهم من أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان وكثرة الآيات والبينات من الله عز وجل، وكثرة إرسال الرسل ولكنهم مع ذلك لم يستجيبوا ولم يمتثلوا فأعرضوا وكفروا فكان العقاب من الله جل جلاله، كما هو الحال مع بني إسرائيل، فقد أخبر ربنا تبارك وتعالى عن بني إسرائيل لما جاءتهم رسل ربهم بالهدى والبينات أعرضوا عنها وكفروا بها فكان جزاؤهم أن غضب الله عليهم وأهلكهم، { وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [البقرة: ٢١١]

قال ابن كثير: "يقول تعالى مُخْبرًا عن بني إسرائيل: كم قد شاهدوا مع موسى عليه السلام {مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ } أي: حجة قاطعة على صدقه فيما جاءهم به، كَيَدِهِ وعصاه وفَلْقه البحر وضَرْبه الحجر، وما كان من تظليل الغمام عليهم في شدة الحر، ومن إنزال المَنّ والسلوى وغير ذلك من الآيات الدالات على وجود الفاعل المختار، وصدق من جرت هذه الخوارق على يَدَيه، ومع هذا أعرض كثير منهم عنها، وبَدلوا نعمة الله كفرًا

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١١).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٣٢)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/٢٣٦).

أي: استبدلوا بالإيمان بها الكفر بها، والإعراض عنها، كما قال إخبارًا عن كفار قريش: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ } [إبراهيم: ٢٨، ٢٩](١).

وصنف آخر من الأمم وهم قوم سبأ: آتاهم الله من كل النعم في مسكنهم ومأكلهم ومشربهم، وكفاهم مؤونة الطعام والشراب، و قارب بينهم وبين القرى المجاورة لهم حتى يتيسر لهم الوصول إلى مطالبهم دون خوف(٢).

وأعطاهم من الآيات والعلامات التي تدل على أن للكون ربٌ هو خالقه وهو الذي يملك التصرف التام فيه، ومع هذا كفروا بنعمة الله عليهم ولما أرسل الله عز وجل لهم الرسل كذبوهم، وأعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملوها حتى إنهم طلبوا وتمنوا أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى التي كان السير فيها متيسرًا(٣).

فكان ما قص الله علينا في كتابه فأنزل سورة تحكي لنا قصتهم حتى نعتبر بها، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا

(١) تفسير ابن كثير(١/ ٥٦٨).

(٢) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي(١٢/ ١٩٠).

(٣) انظر تفسير السعدي (ص: ٦٧٧).

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} [سبأ: ١٥ - ٢١]

ونوعٌ آخر وهو صاحب الجنتين: اغتر بماله ودنياه التي أعطاها الله إياها، وتكبر على خلق الله ثم قاده غروره أن يسيء الظن بخالقه ويكفر بوعد الله، فكان من خبره ما ذكر الله عنه بقوله: { وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} [الكهف: ٣٥، ٣٦]

وقد بلغ من طغيانه أنه لما عاين جنته، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة شكَّ في المعاد إلى الله: ما أظنّ أن تبيد هذه الجنة أبدا، ولا تفنى ولا تَخْرب، وما أظنّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شكّ منه، فقال: (وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي) فرجعت إليه، وهو غير موقن أنه راجع إليه{لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} يقول: لأجدنّ خيرًا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردًا، يقول: لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه(١).

فقاده غروره وكفره إلى غضب الله عز وجل عليه واستحق العقاب من الله العظيم، وتبدل حاله فما كان منه إلا أن أظهر ندمه وليته نفعه فإن الله إذا قضى أمرًا فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، فكان آخر أمره ما ذكره الله عز وجل بقوله: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا} [الكهف: ٤٢ - ٤٤]

(١) تفسير الطبري(١٨/ ٢٢).

وصنف آخر من الناس بخيلٌ شحيحٌ: علموا أن في مالهم وثمارهم حق لله عليهم ولكنهم بخلوا ومنعوا غيرهم من المساكين، بل إنهم تحايلوا في جمعهم للثمار بطريقة لا يراهم فيها أحد من المساكين كي لا يعطوه شيئا منها وهذا من أغرب أنواع الشح، { إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ } أي: حلفوا فيما بينهم لَيَجُذَّنَ ثَمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء، { وَلا يَسْتَثْنُونَ } أي: فيما حلفوا به، ولهذا حنَّثهم الله في أيمانهم، فقال سبحانه: { فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ } أي: أصابتها آفة سماوية، {فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ } قال ابن عباس: أي كالليل الأسود. وقال الثوري، والسدي: مثل الزرع إذا حُصِد، أي هشيمًا يبسًا(١).

وكونوا من الشاكرين

لقد رضي الله عز وجل لعباده الشكر ورغبهم فيه وكرِه وكَرَّه لهم الكفر والفسوق والعصيان، فقال سبحانه: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧]

وإنما رَضِيَ لهم سبحانه الشكر لأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧]، فَالشُّكْرُ مَعَهُ الْمَزِيدُ أَبَدًا، فَمَتَى لَمْ تَرَ حَالَكَ فِي مَزِيدٍ. فَاسْتَقْبِلِ الشُّكْرَ(٢).

وَالشُّكْرَ حَقِيقَتُهُ الِاعْتِرَافُ بِالنِّعْمَةِ لِلْمُنْعِمِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَتِهِ، وَالْكُفْرَانُ اسْتِعْمَالُهَا فِي الْمَعْصِيَةِ. وَقَلِيلٌ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْخَيْرَ أَقَلُّ مِنَ الشَّرِّ، وَالطَّاعَةُ أَقَلُّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ(٣).

لذا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ، أَوْ تَنْتَفِخَ قَدَمَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَقُولُ: ((أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا))(١).

---

(١) تفسير ابن كثير(٨/ ١٩٦).

(٢) وانظر فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥١٨)، مدارج السالكين (٢/ ٢٣٦) لابن القيم.

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٧٦).

وإن فضيلة الشكر من أعظم النعم، ولا يمكن أن يحافظ على هذه النعمة إلا مُعانٌ من قِبَلِ الرحمن، ولذا كانت وصيةُ النبيِّ ﷺ لمعاذٍ رضي الله عنه بقوله: "أُوصيكَ يا معاذ لا تَدَعنَّ في دُبُر كُل صلاةٍ أن تقول: اللهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك".(٢)

وكان من دعاء النبي ﷺ: ((رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا. . . الحديث)).(٣)

ومن فوائد وثمرات الشكر التي تعود على العبد:

أن الشكر أمان من عذاب الله- :

قال سبحانه:{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا } [النساء: ١٤٧]

قَالَ قَتَادَةُ: "إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لاَ يُعَذِّبُ شَاكِرًا وَلاَ مُؤْمِنًا".(٤)

-سبب لزيادة النعم وحِفظِها:

فلقد وعد الله عز وجل عباده بموالاة نعمه عليهم إن هم شكروا، قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}[إبراهيم: ٧]

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ: " إِنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، وَلَنْ يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ ".(١)

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤٧١)، من حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داوود(١٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود(١٣٦٢).

(٣) أخرجه الترمذي(٣٥٥١)، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٨/ ٥١).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٦٢٤).

-الشكر موصلٌ لمرضاة الله جل جلاله:

لقد أخبر ربنا تبارك وتعالى أنه يرضى لعباده شكر نعمه ويكره كفرها، فقال سبحانه: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا".(٢)

وهذا تنويه عظيم بمقام الشكر حيث رتب هذا الجزء العظيم الذي هو أكبر أنواع الجزاء كما قال سبحانه وتعالى {ورضوان من الله أكبر} في مقابلة شكره بالحمد وعبر بالمرة إشعارا بأن الأكل والشرب يستحق الحمد عليه وإن قل جدًا أو أنه يتعين علينا أن لا نحتقر من الله شيئًا وإن قل وفيه ندب الدعاء عقبها.(٣)

فكونوا من الشاكرين لنعم الله عليكم واحذروا كُفرانها، وخذوا العِظة والعبرة مما قص الله عليكم من أخبار السابقين، وليحذر الغافلون عن شكر نعم الله من استدراج الله لهم بتلك النعم، كما أخبر ربنا عن أمثال هؤلاء بقوله: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤]

وقال جل شأنه: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]

وَأَصْلُ الِاسْتِدْرَاجِ اغْتِرَارُ الْمُسْتَدْرَجِ بِلُطْفٍ مِنْ حَيْثُ يَرَى الْمُسْتَدْرَجُ أَنَّ الْمُسْتَدْرِجَ إِلَيْهِ مُحْسِنٌ حَتَّى يُوَرِّطَهُ مَكْرُوهًا.(٤)

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٢١٤).

(٢) أخرجه مسلم(٢٧٣٤).

(٣) فيض القدير للمناوي(٢/ ٢٦٢).

(٤) تفسير الطبري(١٠/ ٦٠٠).

obeikan.com

آداب الناصح والمنصوح (٢)

أولا: آداب الناصح

هناك بعض الآداب التي ينبغي للناصح أن يتحلى بها حتى يقبل نصحه ويسلم له أجره منها:

١- الإخلاص في النصيحة

على الناصح أن يرجو بنصيحته وجه الله تبارك وتعالى فلا يقصد بنصيحته الأغراض الدنيوية من رياء، وسمعة، وحب شهرة وغيرها. قال تعالى: { أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } [الزمر: ٣]. وقال سبحانه: { وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة: ٥]

وقال ﷺ: « إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ». (١)

وعليه كذلك أن يخلص في نصحه لأخيه فلا يغشه ولا يخدعه، لأنها أمانة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ ». (٢) أي أمين على ما استشير فيه فمن أفضى إلى أخيه بسره وأمنه على نفسه فقد جعله بمحلها فيجب عليه أن لا يشير عليه إلا بما يراه صوابا. (٣)

قال ابن عباس: لا يزال الرجل يزداد في صحة رأيه ما نصح لمستشيره، فإذا غشه سلبه اللَّه نصحه ورأيه. (٤)

وعن إبراهيم بن المنذر قال: استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يوليه القضاء، فأشار عليه به، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه، فبعث

---

(١) متفق عليه من حديث عمر رضي الله عنه

(٢) رواه أبو داود (٥١٢٨) والترمذي (٢٨٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٣٦)

(٣) فيض القدير (٦/ ٢٦٨)

(٤) الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ٢١١)

زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله: أنشدك بالله أترى لي أن أَلِيَ القضاء؟ قال: اللهم لا. قال زياد: سبحان الله! استشرتك فأشرت عليّ به ثم أسمعك تنهاه! قال: أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحته. (١)

٢- التثبت قبل النصح والإنكار

قال رجل للأحنف بن قيس: أخبرني الثقة عنك بسوء. قال: الثقة لا ينمّ. (٢)

فلا تبادر إلى تصديق كل ما يقال عن أخيك المسلم من جار أو صديق، ولا تصدق كل ما يُقال ولو سمعته من ألف فم، بل يجب عليك عدم إساءة الظن بالآخرين، قال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: ١٢]

وقال تعالى: {إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [يونس: ٣٦]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ». (٣)

قال المناوي: أي احذروا اتباع الظن واحذروا سوء الظن بمن لا يساء الظن به من العدول والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل؛ قال الغزالي: وهو حرام كسوء القول. (٤)

وإذا رأيت أمراً أو بلغك عن صديقك كلامٌ يحتمل وجهين، فاحمله محملاً حسناً، وأنزله منزلة الخير، فذلك ألصق بالأخوة، وأجدر بمكارم الأخلاق.

---

(١) عيون الأخبار (١/ ٧١).

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري (٤/ ١٥١)

(٣) رواه البخاري (٦٠٦٦) ومسلم (٢٥٦٣)

(٤) فيض القدير (٣/ ١٢٢)

قالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف وكان أجود قريش في زمانه: ما رأيت قوماً ألأمَ من إخوانك! فقال لها: مه! ولمَ ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك، فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم، يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحقهم!.

قال الماوردي معلقا: فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا، وظاهر غدرهم وفاء. وهذا محض الكرم ولُباب الفضل، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم. (١)

قال مَعْمَر بن راشد: أَنْصَحُ النَّاسِ إِلَيْكَ مَنْ خَافَ اللَّهَ فِيكَ. (٢)

٣- العلم بما ينصح به

الذي يقوم بالنصيحة لا ينصح في أمر يجهله، بل لا بد أن يكون عالماً بما ينصح به، ولديه علم شرعي وأدلة من الكتاب والسنة في الجانب الذي يتكلم فيه، قال تعالى: { وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } [الإسراء: **٣٦**].

قال المناوي: الناصح يحتاج إلى علم كبير وكثير، فإنه يحتاج أولا إلى علم الشريعة وهو العلم العام المتضمن لأحوال الناس، وعلم الزمان، وعلم المكان، وعلم الترجيح إذا تقابلت الأمور فيفعل بحسب الأرجح عنده، وهذا يسمى علم السياسة، فإنه يسوس بذلك النفوس الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها، **فلذلك قالوا:** يحتاج الناصح إلى علم وعقل وفكر صحيح ورؤية حسنة واعتدال مزاج وتؤدة وتأنٍّ، فإن لم تجمع هذه الخصال فخطؤه أسرع من إصابته فلا ينصح. (٣)

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ١٨٠)

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا (ص: ٩٨)

(٣) فيض القدير (٦/ ٢٦٨)

obeikan.com

قال أبو بكر الآجرى: ولا يكون ناصحًا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم إلا من بدأ بالنصيحة لنفسه، واجتهد في طلب العلم والفقه، ليعرف به ما يجب عليه، ويعلم عداوة الشيطان له وكيف الحذر منه، ويعلم قبيح ما تميل إليه النفس حتى يخالفها بعلم. (١)

٤- العمل بما ينصح به

بمعنى أن يكون قدوة في نفسه داعيا بمظهره وجوهره.

قال تعالى منكرا على أهل الكتاب الذين يأمرون الناس بالبر ولا يأتمرون به: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٤٤]

وعن جُنْدُب بن عبد الله قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ ». (٢)

قال الراغب الأصفهاني: أول النصح أن ينصح الإنسان نفسه فمن غشها فقلما ينصح غيره. (٣)

وكتب رجل إلى صديق له: أما بعد فعظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك، واستح من الله بقدر قربه منك، وخفه بقدر قدرته عليك، والسلام. (٤)

يقول ابن قدامة: فكن أحد رجلين: إمَّا مشغولاً بنفسك، وإما متفرغًا لغيرك بعد الفراغ من نفسك، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك. (٥)

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٣٠)

(٢) رواه الطبراني (١٦٨١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠١٥)

(٣) الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ٢١١)

(٤) المستطرف في كل فن مستطرف لأبي الفتح الأبشيهي(ص: ٨٩)

(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٢٠)

وقال وهب بن منبه: إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في نصحك وعلمك لله، فإن العمل لا يقبل ممن ليس بناصح، وإن النصح لله عز وجل لا يكمل إلا بطاعة الله، كمثل الثمرة الطيبة، ريحها طيب وطعمها طيب، كذلك مثل طاعة الله، النصح ريحها، والعمل طعمها. (١)

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ. . . هَلاَّ لِنَفْسِك كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى. . . كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
ابْدَأْ بِنَفْسِك فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا. . . فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ تُعْذَرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى. . . بِالْقَوْلِ مِنْك وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ. . . عَارٌ عَلَيْك إِذَا فَعَلْت عَظِيمُ (٢)

ومع ذلك لا يمتنع من النصح لما يرى من تقصير في نفسه، وإلا ما دعى إلى الله أحد بعد الأنبياء؛ قال عمر بن عبد العزيز: لو أن المرء، لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه، ويكمل الذي خلق له من عبادة ربه، إذن لتواكل الناس الخير، وإذن يرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقل الواعظون والساعون لله عز وجل بالنصيحة في الأرض. (٣)

٥- أن تكون النصيحة سرا

وهذا من أهم آداب النصح، فالأصل في النصيحة الإسرار: ومن بليغ الحكمة قولهم: النصيحةُ أمنُ الفضيحة. (٤)

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٣٦)
(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٣٤)
(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا (ص: ١٣٩)
(٤) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/ ١٦٥)

قال أبو حاتم البستي: لا تكون النصيحة إلا سرّاً؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه، ومن وعظه سرّاً فقد زانه، فإبلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أحرى من القصد فيما يشينه. . . . وعلامة الناصح الذي أراد زينة المنصوح له: أن ينصحه سرّاً، وعلامة من أراد شينه: أن ينصحه علانية، فليحذر العاقل نصحه الأعداء في السر والعلانية. (١)

قال الله تعالى لسيد الناصحين ﷺ: { وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } [النساء: ٦٣]

أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم، فإن ذلك أقرب إلى ترقيقهم. (٢)

وكان النبي ﷺ إذا أراد أن ينصح أحد الحاضرين يقول: « ما بال أقوام » يفعلون كذا وكذا، ما بال أحدكم يفعل كذا، **وقد قيل:** النصح ثقيل فلا تجعله جبلا، ولا ترسله جدلا. (٣)

وقال الشافعي: من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. (٤)

وعن ابن المبارك قال: كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره، أمره في ستر، ونهاه في ستر، فيؤجر في ستره، ويؤجر في نهيه، فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحدٍ ما يكره استغضب أخاه، وهتك ستره. (٥)

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٩٦ – ١٩٧)

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٧) ونظم الدرر لابن جزي (٥/ ٣١٥)

(٣) تفسير الشعراوي (٣/ ١٨٣٨)

(٤) إحياء علوم الدين (٢/ ١٨٢)

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٩٧)

- أن يراعى الوقت والمكان المناسب

فعلى النَّاصح أن يكون فَطِنًا لبيبًا في اختيار الأحوال والأزمنة المُناسبة، وعليه أن يقتنص الفُرَص السَّانحة، فاختيار الحال والزَّمان المناسب من أكبر الأسباب لقبول النَّصيحة، **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. (١)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان: فابتغوا لها طرائف الحكمة. (٢)

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن للقلوب شهوة وإقبالا، وفترة وإدبارا فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها. (٣)

٧- أن يراعي دائما اللين والرفق في النصيحة

أن تكون النصيحة بالرفق واللين والأسلوب الحسن، مع انتقاء الألفاظ المحببة، وعدم استخدام الأساليب المنفرة، قال تعالى: { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل: **١٢٥**].

وقال سبحانه: { وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ } [الإسراء: **٥٣**].

وقال حماد بن سلمة إن صلة بن أشيم مرَّ عليه رجل قد أسبل إزاره فَهَمَّ أصحابه أن يأخذوه بشدة. فقال: دعوني أنا أكفيكم. فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة. قال: وما

---

(١) رواه البخاري (٦٨) ومسلم (٢٨٢١)

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٠٠)

(٣) أدب الدنيا والدين (ص: ٦٦)

حاجتك يا عم؟ قال: أحب أن ترفع من إزارك، فقال: نعم وكرامة، فرفع إزاره. فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم. (١)

قال رجل لمسعر بن كدام: تحب أن تنصح؟ قال: أما من ناصح فنعم، وأما من شامت فلا. (٢)

٨- أن لا تكون النصيحة على شرط القبول

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: { إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاَغُ} [الشورى: **٤٨**] وقال تعالى: { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس: **٩٩**]

قال ابن حزم: ولا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعديت هذا، فأنت ظالم لا ناصح، وطالب طاعة لا مؤدي حق ديانة وأخوة، وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة، ولكن حكم الأمير مع رعيته والسيد مع عبيده. (٣)

٩- عدم تصيد الأخطاء والتماس الهفوات

فلا ينبغي للعاقل أن يقف مع الهفوات أو يتصيد الأخطاء ويقيم الدنيا ولا يقعدها بسبب ذلك، وربما يكون عنده من الأخطاء والهفوات أضعاف أضعاف ما ينكره على غيره، ولا يسلم أحد من الخطأ والزلل إلا من عصمه الله تعالى، قال الله تعالى في وصف النفس الإنسانية على حقيقتها: { إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف: **٥٣**]

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟. . . كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٣٥)

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٩٠)

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص: ٤٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ ». (١)

قال المناوي: كأن الإنسان لنقصه وحب نفسه يتوفر على تدقيق النظر في عيب أخيه فيدركه مع خفائه فيعمى به عن عيب في نفسه ظاهر لا خفاء به، وهذا مثل ضرب لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به وفيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجذع إلى القذاة وذلك من أقبح القبائح وأفضح الفضائح فرحم الله من حفظ قلبه ولسانه ولزم شأنه وكف عن عرض أخيه وأعرض عما لا يعنيه فمن حفظ هذه الوصية دامت سلامته وقلت ندامته فتسليم الأحوال لأهلها أسلم والله أعلى وأعلم ولله در القائل:

أرى كل إنسان يرى عيب غيره. . . ويعمى عن العيب الذي هو فيه

فلا خير فيمن لا يرى عيب نفسه. . . ويعمى عن العيب الذي بأخيه(٢)

ثانيا: آداب المنصوح

ينبغي للمنصوح أن يتحلى ببعض الآداب كي ينتفع بالنصيحة ومن ذلك:

١ - تقبل النصيحة بصدر رحب دون ضجر أو تكبر وعد الإصرار على الباطل

وقد قيل: تقبل النصيحة على أي وجه، وقدمها على أحسن وجه. (٣)

---

(١) رواه ابن حبان (٥٧٦١) والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٢٨)

والقذاة: هي ما يقع في العين والماء والشراب من نحو تراب وتبن ووسخ (الجذع) واحد جذوع النخل

(٢) فيض القدير (٦/ ٤٥٦)

(٣) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (٢/ ٢٥)

فمن لا يقبل نصح الناصح فهو كالمريض، الذي يترك ما يصف له الطبيب، ويعمد لما يشتهيه فيهلك، قال الله تعالى حكاية عن نبيِّه صالح عليه السلام: { لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ } [الأعراف: ٧٩].

قال تعالى في معرض الذم لمن يتعالى عن قبول النصح: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٦]

أي: إذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله، وقيل له: اتق الله، وانزع عن قولك وفعلك، وارجع إلى الحق -امتنع وأبى، وأخذته الحمية والغضب بالإثم، أي: بسبب ما اشتمل عليه من الآثام. (١)

وقال ابن مسعود: كفى بالرجل إثما إذا قيل له: اتق الله. قال: عليك نفسك. (٢)

قال ابن الأعرابي: اثنان ظالمان: رجل أهديت له النصيحة فاتخذها ذنباً، ورجل وُسِّع له في مكان ضيق فجلس متربعاً. (٣)

وقال أبو حاتم البستي: النصيحة محاطة بالتهمة، وليست النصيحة إلا لمن قبلها، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها، ولا الآخرة إلا لمن طلبها. (٤)

وَلاَ يَرْفُضُ نَصِيحَةَ الْعَاقِلِ؛ إِلاَّ امْرُؤٌ جَاهِلٌ، عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « أَبْغَضُ الْكَلاَمِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلّ: أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ اتَّقِ اللهَ؛ فَيَقُول: عَلَيْكَ بِنَفْسِك ». (١)

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٤)

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٧)

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٩٦)

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٩٦)

وعَن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَال: « إِذَا ذُكِّرْتُمْ بِاللهِ فَانْتَهُواْ ». (٢)

وَعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَال: « وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُون ». (٣)

فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَقَبَّلَ نُصْحَ النَّاصِحِينَ بِقَبُولٍ حَسَن، وَلاَ يَقُولَ بِقَوْلِ أَبي نُوَاسٍ في فَتْرَةِ مجُونِه:

مَا لي وَلِلنَّاسِ كَمْ يَلْحَوْنَني سَفَهَاً * دِيني لِنَفْسِي وَدِينُ النَّاسِ لِلنَّاسِ

ومن جميل ما يذكر هنا ما جاء عن عبد الرحمن بن مهدي أنه روى عن شيخه عبيد الله بن الحسن العنبري أحد سادات البصرة وعلمائها، قال: كنا في جنازة، فسألته عن مسألة، فغلِط فيها، فقلت له: أصلحك الله، القولُ فيها كذا وكذا "، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: " إذًا أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذَنَبًا في الحق أحب إلى من أن أكون رأسًا في الباطل. (٤)

٢- شكر الناصح

ينبغي للمنصوح أن يقدم الشكر لمن نصحه، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أحب الناس إلي من أهدى إليَّ عيبا. (٥)

ثالثا: آثار وثمار النصيحة

---

(١) رواه النسائي (١٠٦١٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٤٢) وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ١٨٩)

(٢) رواه البزار (٨٥٤١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٥٥)

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٦٥) وعبد بن حميد في المنتخب (٣٢٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢١٦)

(٤) تاريخ بغداد ت بشار (١٢/ ٧)

(٥) صيد الخاطر (ص: ٦٩)

تتحصل من النصيحة الثمار الطيبة، والآثار الخيرة، ويمكن إجمال ثمار النصيحة في الأمور التالية:

١- تنقية المنصوح من الشوائب:

فإن الناصح عندما يرى من منصوحه غفلة عن خير، أو وقوعاً في شر، فيعمد إلى تقوية وتنقية نفسه من الشوائب سيراً بها إلى التقليل من القصور في حق الله أولاً، ثم في حق عباده ثانياً، وهذا مكسب كبير للإنسان لو تمعن فيه.

٢- دوام المحبة والألفة:

فإن المنصوح إذا نصحه الناصح بما يسدد خطأه، ويكمل نقصه، كان ذلك طريقاً لدوام الألفة بين الاثنين، ذلك لأن الناصح محب لمنصوحه، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولابد أن يقابله صاحبه بمثل ذلك إن كان عاقلاً.

٣- أداء حق الأخوة:

إن الناصح حين ينصح غيره إنما يؤدي ما لأخيه من حق عليه، وهذا الحق يتعلق بحب المرء لغيره مثل ما يحبه لنفسه، وهذا الأمر يؤدى بطرق منها النصيحة.

قال عمر بن عبد العزيز: من وصل أخاه بنصيحة له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلته، وأدى واجب حقه. (١)

٤- حصول الأجر:

الناصح إذا أسدى لغيره نصحاً استحق عليه الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى، على حرصه على إخوانه، وحبه لهم. (٢)

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٥٧١)

(٢) فقه النصيحة لأبي مهند النجدي (ص: ١٣)

تأملات في سورة الإخلاص (٢)

مباحث السورة ومحاورها

المحور الأول: انفراد الله بجميع الكمالات في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله

وذلك في قوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }

أي {قُلْ} قولا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، {هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل، ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. (١)

فهو سبحانه أحدٌ في صفاته، وأحد في ذاته، وأحد في وجوده، تفرَّد بالربوبية: { قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ } [الرعد: ١٦]، وتفرَّد بالألوهية: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [آل عمران: ٢]، وتفرَّد في الصفات: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى: ١١]

والأحد هو الواحد: قال ابن الجوزي: قاله ابن عباس وأبو عبيدة، وفرق قوم بينهما.

قال الخطابي: الفرق بين الأحد والواحد: أن الواحد هو المنفرد بذاته، فلا يضاهيه أحد. والأحد المنفرد بصفاته ونعوته، فلا يشاركه فيها أحدٌ. (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٥٢٧) وتفسير السعدي (ص: ٩٣٧)

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٥٠٦) ومجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٥٣٩)

وَقيل: إِن الْأَحَد أبلغ من الْوَاحِد، يُقَال: فلاَن لَا يقاومه أحد نفيا للْكُلّ، وَيُقَال: لَا يقاومه وَاحِد، وَيجوز أَن يقاومه اثْنَان، وَأَيْضًا فَإِن الْوَاحِد يكون الَّذِي يَلِيهِ الثَّانِي وَالثَّالِث فِي الْعدَد، والأحد لَا يكون بِمَعْنى هَذَا الْحَال. (١)

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} إعلان وإعلام من المسلم لكل البشرية بأنه "لا إله إلا الله" ولا معبود لي سواه

ومن أجل هذه الكلمة أُوذي موسى ﷺ، قال تعالى: { أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ } [غافر: ٢٨]، وأوذي من أجلها محمد ﷺ حين قام أبو بكر رضي الله عنه ليردع عنه إيذاء المشركين قائلا لهم: { أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ }، وأوذي من أجلها المؤمنون من بعده، قال تعالى: { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ } [الحج: ٤٠].

وبعضهم أُحرق في النار بسببها {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } [البروج: ٨] وما ينقم علينا أهل الكتاب إلا لأجلها {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ} [المائدة: ٥٩]

فمن تمسك بها واستقام عليها حتى يلقى الله بها، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: ٣٠]، وقال: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [الأحقاف: ١٣]

وهي أول كلمة يُسأل عنها العبد في قبره؛ **فعن البراء بن عازبٍ** رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: « وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ ». (٢)

المحور الثاني: إثبات الغنى المطلق لله تعالى

---

(١) تفسير السمعاني (٦/ ٣٠٣)

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٨٧) وأبو داود (٤٧٥٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٤٦)

وذلك في قوله تعالى: { اللَّهُ الصَّمَدُ }

قال عبد الله بن مسعود: الصمد: السيد الذي قد انتهى سؤدده.

قال عكرمة عن ابن عباس: يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم.

وعنه أيضا قال: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار.

وقال السدي: هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب، تقول العرب: صمدت فلانا أصمده صمدا -بسكون الميم -إذا قصدته، والمقصود: صَمَد، بفتح الميم.

وعن مجاهد وسعيد بن جبير: الصمد الذي لا جوف له. (١)

وكلها معان متقاربة تدل على إفراده تعالى بالكمال المطلق من كل الوجوه، وتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وعيب.

ومن تمام الإيمان باسم الله الصمد: فنعتقد أن سبحانه هو الغني بنفسه عن كل ما سواه؛ وكل ما سواه فقير إليه بنفسه وأنه لا ينال أحدٌ ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته. (٢)

---

(١) راجع تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٨) وتفسير البغوي (٨/ ٥٨٨) والسنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني (١/ ٢٩٩) و (١/ ٣٠٠)

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٢٨)

ونعتقد أيضا: أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانها، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا} [الإسراء: ٧٤]. (١)

وعن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِفَاطِمَةَ: « مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ». (٢)

وعن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ». (٣)

فالعبد لا غنى له عن ربه طرفة عين بل هو مضطر إليه على مدى الأنفاس في كل ذرة من ذراته باطنا وظاهرا؛ وضرورته إلى ربه فوق كل ضرورة، ولا تشبهها ضرورة تقاس بها، فإنه إن أمسك عنه رحمته وتوفيقه وهدايته طرفة عين خسر وهلك. (٤)

المحور الثالث: تنزيه الله تعالى عن الوالد والولد

وذلك في قوله تعالى: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة؛ فهو سبحانه ليس بفانٍ، لأنه لا شيء يَلد إلا هو فانٍ بائدٍ، وليس بمحدَث لم يكن فكان، لأن كلَّ مولود فإنما وُجد بعد أن لم يكن، وحدث بعد أن كان غير موجود. (٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، كان النَّبِيّ ﷺ يقول في دعائه: « اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٣٦)

(٢) رواه النسائي (١٠٣٣٠) وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: ٤٨) وحسنه الألباني في الصحيحة (٧/ ٥٥٨)

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٢) وأبو داود (٥٠٩٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٤٤٩)

(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٧٧) الفوائد لابن القيم (ص: ٥٦)

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٣٧) وتفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٩)

شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ». (١)

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاء قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَوا للنبي ﷺ: جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ، فقَالَ ﷺ: « كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ». (٢)

فالله تعالى واحد في ذاته، أحد في صفاته، لم يلد فيحتاج إلى صاحبة، ولم يولد فيكون مسبوقا، جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا. (٣)

وقد أشار الله عز وجل إلى امتناع ولادته أيضاً في قوله تعالى: { أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الأنعام: **١٠١**]

فكيف يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة؟ والولد إنما يكون متولدا عن شيئين متناسبين، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه؛ لأنه خالق كل شيء، فلا صاحبة له ولا ولد. (٤)

وفي قوله: { لم يلد } ردٌّ على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون، واليهود، والنصارى، لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، وقالوا: إن الملائكة بنات الله: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف: **١٩**]

واليهود قالوا: عزير ابن الله. والنصارى قالوا: المسيح ابن الله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ

---

(١) رواه مسلم (٢٧١٣)

(٢) رواه البخاري (٧٤١٨)

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٨٥)

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٣٠٨)

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: ٣٠] فكذبهم الله بقوله: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ }.

قال ابن عباس: لم يلد كما وَلدتْ مريم، ولم يولد كما وُلد عيس وعزير.

وقال مقاتل: إن مشركي العرب، قالوا: الملائكة بنات الله. وقالت اليهود: عزير ابن الله. وقالت النصارى: المسيح ابن الله. فأكذبهم الله تعالى، فقال: لم يلد يعني: لم يكن له ولد، ولم يولد من أحد كما ولد عيسى، وعزير، ومريم. (١)

ونسبة الولد لله من أشنع الأقوال وأقذع السب والشتم من العبد للرب تبارك وتعالى،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُئًا أَحَدٌ ». (٢)

قال ابن حجر رحمه الله: إنما سماه شتما لما فيه من التنقيص لأن الولد إنما يكون عن والدة تحمله ثم تضعه ويستلزم ذلك سبق النكاح والناكح يستدعي باعثا له على ذلك والله سبحانه منزه عن جميع ذلك. (٣)

قال الطيبي: ومما في التكذيب والشتم من الفظاعة والهول أن المكذب منكر للحشر يجعل الله كاذبا والقرآن المجيد الذي هو مشحون بإثباته مفترى ويجعل حكمة الله في

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٤٦) والتفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٧١)

(٢) رواه البخاري (٤٩٧٤)

(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٦٨)

خلقه السماء والأرض عبثا والشاتم يحاول إزالة المخلوقات بأسرها ويزاول تخريب السماوات من أصلها. (١)

قال الله تبارك وتعالى مبينا شناعة هذه المقالة وفظاعتها وبطلانها ومدى تأثر المخلوقات عند سماعها: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم: ٨٨ - ٩٥]

قال ابن كثير: أي: يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم، إعظاما للرب وإجلالا؛ لأنهن مخلوقاتٌ ومُؤَسساتٌ على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، ولا نظير له ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا كفء له، بل هو الأحد الصمد:

وفي كل شيء له آية. . . تدل على أنه واحد(٢)

قال ابن عباس وكعب: فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا: اتخذ الله ولدا. (٣)

قال محمد بن كعب القرظي: لقد كاد أعداء الله أن يقيموا علينا الساعة بقولهم هذا.

قال ابن العربي معلقا: وصَدَق، فإنه قول عظيمٌ سبق القضاء والقدر، ولولا أن البارئ لا يَضَعُهُ كفرُ الكافر، ولا يرفعُه إيمانُ المؤمن، ولا يزيد هذا في ملكه، كما لا ينقص ذلك

---

(١) فيض القدير (٤/ ٤٧٣)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٢٦٦)

(٣) تفسير البغوي - طيبة (٥/ ٢٥٧)

من ملكه، ما جرى شيء من هذا على الألسنة، ولكنه القدوس الحكيم الحليم، فلم يبالِ بعد ذلك بما يقوله المبطلون. (١)

ومع ذلك فالله عز وجل يصبر عليهم ويعافيهم في أبدانهم ويرزقهم، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ ». (٢)

المحور الرابع: نفي المثيل والنظير عن الله

وذلك في قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}

قال أبو عبيدة: كُفُوٌ وَكُفْءٌ وَكِفَاءٌ كُلُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ الْمِثْلُ والنظير والمكافئ.

وللمفسرين فيه أقاويل أحدها: قال كعب وعطاء: لم يكن له مثل ولا عديل، ومنه المكافأة في الجزاء لأنه يعطيه ما يساوي ما أعطاه. وثانيها: قال مجاهد: لم يكن له صاحبة كأنه سبحانه وتعالى قال: لم يكن أحد كفؤا له فيصاهره، ردا على من حكى الله عنه قوله: { وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا }. فتفسير هذه الآية كالتأكيد لقوله تعالى: لم يلد

وثالثها: وهو التحقيق أنه تعالى لما بيَّن أنه هو المصمود إليه في قضاء الحوائج ونفي الوسائط من البين بقوله: { لم يلد ولم يولد }، فحينئذ ختم السورة بأن شيئا من الموجودات يمتنع أن يكون مساويا له في شيء من صفات الجلال والعظمة.

فالله سبحانه وتعالى لا يماثله ولا يساويه أحد، وليس له ضد ولا ند ولا شبيه، ولا صاحبة، لتفرده سبحانه بالكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه غيره. (٣)

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٣/ ٢٥٠)

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٩) ومسلم (٢٨٠٤)

(٣) راجع تفسير الرازي (٣٢/ ٣٦٥) وتفسير ابن عطية (٥/ ٥٣٧) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٥٠٦) وغرائب التفسير لبرهان الدين الكرماني(٢/ ١٤٠٨) والصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٤٤٤)

من درر الفوائد

الفائدة الأولى: في السورة ردٌّ على أهل التعطيل والتمثيل

– **قال ابن تيمية** رحمه الله: تضمنت هذه السورة من وصف الله سبحانه وتعالى الذي ينفى قول أهل التعطيل وقول أهل التمثيل ما صارت به هي الأصل المعتمد في مسائل الذات.(١)

فالله سبحانه وتعالى أثبتَ لنفسه ذاتا ليست كالذوات، وصفاتا ليست كالصفات ونفى عن نفسه كل النقائص والتهمات، فنثبت له سبحانه حقائق الأسماء والصفات، وننفي عنه فيها مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تحريف ولا تعطيل {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}

وإياك وطريقة التعطيل والتمثيل، فإن كلا منهما منزل ذميم، ومرتع على علاته وخيم، لأن زُكام التعطيل والتمثيل مفسدٌ لحاسة الشم، كما هو مفسد لحاسة الذوق، فلا يذوق العبد معه طعم الإيمان، ولا يجد ريحه.(٢)

الفائدة الثانية: أول السورة يدل على أنه سبحانه واحد؛ ويدل الصمد على أنه كريم رحيم لأنه لا يُصمد إليه حتى يكون محسنا و: { لم يلد ولم يولد } على أنه غني على الإطلاق ومنزه عن التغيرات فلا يبخل بشيء أصلا، ولا يكون جودُه لأجل جرِّ نفع أو دفع ضر، بل بمحض الإحسان وقوله: { ولم يكن له كفوا أحد } إشارة إلى نفي ما لا يجوز عليه من الصفات.

الفائدة الثانية: استعمال السورة؛ تُقرأ سورة الإخلاص في صلاة الوتر وركعتي الفجر، وفي أذكار الصباح والمساء وفي أذكار النوم وفي أدبار الصلوات المكتوبات وفي الرقية

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها (ص: ٦٢)

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٣٠) و (٣/ ٤١٣)

وقد تقدمت الأدلة على كل ما ذُكِر، وأما قراءتها دبر الصلوات المكتوبات فلحديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ. (١)

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: المعوذات أي السور الثلاث وذكر سورة الإخلاص معها تغليبا لما اشتملت عليه من صفة الرب وإن لم يصرح فيها بلفظ التعويذ. (٢)

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي رواية أبي داود: " بالمعوّذات "، فينبغي أن يقرأ: " قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ بربّ الناس ". (٣)

الفائدة الثالثة: سورة الإخلاص أعظم ما يعين العبد على الإخلاص

فإذا قال العبد { قل هو الله أحد } بلسانه واعتقد معناها بقلبه وعمل بمقتضاها بجوارحه فهو المخلص علما وعملا ظاهرا وباطنا، فأقواله لله وأفعاله لله وأحواله لله وحركاته وسكناته كلها لله وحياته ومماته لله {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]

ولو تأملنا كل معاني الإخلاص وتعريفاته لعلمنا أنها لا تخرج عن سورة الإخلاص

فمثلا من معاني الإخلاص: - أن يخلص العبد قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط.

وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

وقال بعضهم: الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهدا غير الله، ولا مجازيا سواه.

ولنعلم أن الإخلاص أشد شيء وأثقله على النفس: قيل لسهل بن عبد الله: أيُّ شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٣) والنسائي (٣/ ٦٨) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٠٦)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٦٢)

(٣) الأذكار للنووي (ص: ٧٣)

وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا: الإخلاص. وكم أَجتهدُ في إسقاط الرياء عن قلبي. فكأنه ينبت على لون آخر.

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئا أشد علي من نيتي، إنها تتقلب عليَّ. (١)

الفائدة الرابعة: التحقق بهذه السورة علما وعملا أعظم ما يُزيل أثر الشهوات والشبهات من القلوب

فعلى قدر صدق العبد وإخلاصه في التوحيد يُعطى من النور الذي يحرق مواضع الشهوات ويبدد ضباب الذنوب؛ **قال ابن القيم** رحمه الله: اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور – قوة، وضعفا – لا يحصيه إلا الله تعالى.

فمن الناس من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس.

ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري.

ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم.

وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم، وبين أيديهم، على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة، علما وعملا، ومعرفة وحالا.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة، ولا ذنبا، إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئا، فأي ذنب أو شهوة أو

---

(١) راجع مدارج السالكين (٢/ ٩١) وإحياء علوم الدين (٤/ ٣١٦) الجامع للخطيب البغدادي (١/ ٣١٧)

شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا على غرة وغفلة لا بد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنقذه من سارقه، أو حصل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبدا مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته، وولى الباب ظهره. (١)

الفائدة الخامسة: العقيدة هي أساس الأعمال وقاعدتها

فتصحيح العقيدة قبل كل شيء، وأهم من كل شيء قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد: ١٩]

قال ابن القيم: من أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به؛ فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقا حمل البنيان واعتلى عليه وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد فالعارف همته تصحيح الأساس وإحكامه والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس فلا يلبث بنيانه أن يسقط. (٢)

قال تعالى: { أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة: ١٠٩]

وقال رحمه الله: وأهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إذا قامت بهم أعمالهم قعدت بهم عقائدهم. (٣)

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٨)

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٥٥)

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ٢٥٥)

عبادة التفكر (٢)

الأسباب المعينة على التفكر ثمرات التفكر الفهم الخاطئ للتفكر

١- الخلوة في بعض الأحيان

فالخلوة أدعى للتفكر والتأمل والتذكر، قال ابن تيمية: لابد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه إما في بيته، كما **قال طاوس**: نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيها بصره ولسانه، وإما في غير بيته. (١)

وقال الحسن البصري: طول الوحدة أتم للفكرة. (٢)

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: التمس وجود الفِكْر في مواطن الخلوات. (٣)

ويدلك على أثر الخلوة حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ وذكر منهم: وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ». (٤)

قال ابن رجب الحنبلي: فهذا رَجُل يخشى الله فِي سره، ويراقبه فِي خلوته، وأفضلُ الأعمال خشية الله فِي السر والعلانية، وخشية الله فِي السر إنما تصدر عَن قوة إيمان ومجاهدةٍ للنفس والهوى، فإن الهوى يدعو فِي الخلوة إلى المعاصي، ولهذا قيل: إن من أعز الأشياء الورع فِي الخلوة. (٥)

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ١٦٣)

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٠)

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٢٨٨)

(٤) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١)

(٥) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٥٠)

obeikan.com

٢- جمع الهم وصفاء الذهن وملازمة اليقظة

التفكر من العبادات التي تتطلب صفاء النفس والقدرة على طرد الأفكار والهواجس التي تعيق التفكر. فقد **سئل بعض العلماء**: ما الذي يفتح الفكر؟ قال: اجتماع الهم، لأن العبد إذا اجتمع همه فكَّر فإذا فكر نظر فإذا نظر أبصر فإذا أبصر عمل. (١)

قال تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق: ٣٧]

قال ابن القيم: كما أن المبصر لا يدرك حقيقة المرئي إلا إذا كانت له قوة مبصرة، وحدق بها نحو المرئي، ولم يكن قلبه مشغولا بغير ذلك، فإن فقد القوة المبصرة، أو لم يحدق نحو المرئي، أو حدق نحوه ولكن قلبه كله في موضع آخر لم يدركه، فهذا الشأن يستدعي صحة القلب وحضوره، وكمال الإصغاء. (٢)

٣- الإنابة إلى الله وتوثيق الصلة به سبحانه

على قدر صلة العبد بربه وإنابته إليه يفتح الله له عيني بصيرته فيرى بهما آيات الله الكونية والشرعية فتزيده قوة وصلابة في إيمانه، قال تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ } [ق: ٧، ٨]

قال السعدي: فكلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله، كان انتفاعه بالآيات أعظم، لأن المنيب مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته وهمته لربه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريبا من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة. (٣)

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ١٤٤)

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢١٩)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٦٧٦)

وأما المعرضون عن الله المتكبرون على شرعه الذين يصرفون الآيات عن ظاهرها ويفسرونها وفق أهوائهم، فهؤلاء صرفهم الله عن التفكر الذي يترتب عليه التذكر والاعتبار قال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف: **١٤٦**] **قال ابن جريج**: سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا. (١)

وقال سفيان بن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي. (٢)

٤- الترتيل لآيات القرآن

قال تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} [المزمل: **٤**]

قال ابن كثير: أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره. (٣)

والترتيل: هو التمهل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك معين على التفكر في معاني القرآن، بخلاف الهذر الذي لا يفقه صاحبه ما يقول، وكان رسول الله ﷺ يقطّع قراءته حرفا حرفا ولا يمرّ بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ. (٤)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله بغير ترتيل. (٥)

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٤٤٣)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٥)

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٠)

(٤) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٢٣)

(٥) شرح البخاري للسفيري (١/ ٢٤٣)

obeikan.com

وعن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة. (١)

٥- ترديد الآيات وتكرارها

قال الغزالي: لا يوجد أنفع من قراءة القرآن بالتفكر فإنه جامع لجميع المقامات والأحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي أن يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة. (٢)

وعن أَبي ذَرٍّ ﷺ قال: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا؛ وَالْآيَةُ: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: ١١٨]. (٣)

وقام قتادة بن النعمان ﷺ الليل لا يقرأ إلا {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} يرددها لا يزيد عليها. (٤)

وعن تميم الداري ﷺ أنه كرر هذه الآية حتى أصبح { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية: ٢١]. (٥)

قال ابن القيم: فإذا قرأ العبد القرآن بتفكر حتى مر بآية وهو محتاجا إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة كاملة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن وهذه كانت

---

(١) تفسير البغوي (٨/ ٢٥١)

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٣١)

(٣) رواه النسائي (٢/ ١٧٧) وابن ماجه (١٣٥٠) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (٣/ ٣٥٠)

(٤) رواه البخاري (٥٠١٤)

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٤٧٧)

عادة السلف يردد أحدهم الآية الى الصباح. . . . . فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب. (١)

ثمرات التفكر

١- التفكر من أعظم أسباب زيادة الإيمان واليقين

قال ابن العربي: أمر الله تعالى بالنظر في آياته، والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من آي القرآن، أراد بذلك زيادة في اليقين، وقوة في الإيمان، وتثبيتا للقلوب على التوحيد.

قيل لأم الدرداء: ما كان أكثر شأن أبي الدرداء؟ قالت: كان أكثر شأنه التفكر. قيل له: أفترى الفكر عملا من الأعمال؟ قال: نعم. هو اليقين. (٢) **قال الله تعالى عن خليله** {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } [الأنعام: **٧٥**]

فالتفكر طريق العبد إلى اليقين وسبيله إلى قوة الإيمان، وهو أعظم فوائد التفكر حيث يستدل به المرء على ما لله من صفات الكمال والجلال، ويعلم أنه لا يخلق أحد كخلق الله ولا يدبر كتدبيره سبحانه وتعالى، قال سبحانه {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (**١٩٠**) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ. . . إلى قوله. . . . . رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ } [آل عمران: **١٩٠ - ١٩٣**]

قال الشوكاني: والمعنى: أنهم يتفكرون في بديع صنعهما، واتقانهما، مع عظم أجرامهما، فإن هذا الفكر إذا كان صادقا أوصلهم إلى الإيمان بالله سبحانه. (٣)

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧)

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٥٢)

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٧٠)

قال ابن القيم: التفكر يوقع صاحبه من الإيمان على مالا يوقعه عليه العمل المجرد فإن التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له وتميز مراتبها في الخير والشر ومعرفة مفضولها من فاضلها وأقبحها من قبيحها ومعرفة أسبابها الموصلة إليها وما يقاوم تلك الأسباب ويدفع موجبها والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه. (١)

عن عامر بن عبد قيس قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان، أو نور الإيمان، التفكر. (٢)

قال خليفة العبدي: ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم حتى أيقنت قلوبهم بربهم. (٣)

٢- التفكر هو أصل الطاعات ومبدأ الخيرات

قال ابن القيم: الفكر هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها. . . والخير والسعادة في خزانة مفتاحها التفكر. (٤)

قَالَ ابن عباس: التفكر في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه. (٥)

وعن الحسن البصري، أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز: اعلم أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل به. (٦)

وقال الفضيل بن عياض: قيل لإبراهيم: إنك لتطيل الفكرة، قال: الفكرة مخ العمل. (٧)

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٠)

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٥)

(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٠٣)

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٣)

(٥) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٢٥)

(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ١٣٤)

(٧) حلية الأولياء (٨/ ١٠٩)

obeikan.com

وبالجملة فالتفكر أصل كل خير وطاعة، قال ابن القيم: الفكر هو الذي ينقل العبد من موت الفطنة الى حياة اليقظة ومن المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة ومن ضيق الجهل الى سعة العلم ورحبه، ومن مرض الشهوة والإخلاد إلى هذه الدار إلى شفاء الإنابة إلى الله والتجافي عن دار الغرور ومن مصيبة العمى والصمم والبكم إلى نعمة البصر والسمع والفهم عن الله والعقل عنه ومن أمراض الشبهات إلى برد اليقين وثلج الصدور. (١)

٣- التفكر يورث التذكر وحياة القلوب

التفكر من أنفع العبادات لحياة القلب، **قال ابن القيم**: التفكر من أفضل أعمال القلب وأنفعها له حتى قيل: تفكر ساعة خير من عبادة سنة. (٢)

فالتفكر طريق إلى التذكر، وبينهما ارتباط وثيق، **قال ابن القيم**: التذكر والتفكر منزلان يثمران أنواع المعارف، وحقائق الإيمان والإحسان، والعارف لا يزال يعود بتفكره على تذكره، وبتذكره على تفكره، حتى يفتح قُفْل قلبه بإذن الفتاح العليم، **قال الحسن البصري**: ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت. (٣)

وقال سفيان بن عيينة: الفكرة نور تدخله قلبك؛ وكان دائما يتمثل:

إذا المرء كانت له فكرة. . . ففي كل شيء له عبرة(٤)

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٣)

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٣)

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٤٠)

(٤) حلية الأولياء (٧/ ٣٠٦)

وتذكر المرء واتعاظه بالآيات إنما يبدأ من التفكر؛ **قال ابن السماك**: اعلم أن للموعظة غطاء، وكشف غطائها التفكر. (١)

والتفكر يذهب الغفلة عن المرء ويجلب الحياة لقلبه، **قال إبراهيم الخواص**: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين. (٢)

وقال عبد الله بن عون: الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكرة. (٣)

٤- التفكر طريقك إلى ترك المعاصي

قال بشر الحافي: لو فكر الناس في عظمة الله ما عصوه. (٤)

وقال ابن القيم: أصلُ كل طاعة إنما هي الفكر، وكذلك أصل كل معصية إنما يحدث من جانب الفكرة فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة فيبذر فيها حَبَّ الأفكار الردية فيتولد منه الإرادات والعزوم فيتولد منها العمل، فإذا صادف أرض القلب مشغولة ببذر الأفكار النافعة فيما خُلق له وفيما أُمر به، لم يجد لبذره موضعا وهذا كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى. . . فصادفَ قلبا فارغا فتمكنا(٥)

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } [الأعراف: ٢٠١]

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٢٠٨)

(٢) حلية الأولياء (١٠/ ٣٢٧)

(٣) تفسير البغوي (٢/ ١٥٢)

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٠)

(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٣)

قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} [آل عمران: **١٣٥**]

قال إسحاق بن إبراهيم، بلغني عن سفيان بن عيينة، قال: التفكر مفتاح الرحمة، ألا ترى أن العبد العاصي يتفكر فيتوب؟. (١)

وكان الفضيل بن عياض شاطرا يقطع الطريق، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقى الجدران إليها سمع تاليا يتلو: {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله} [الحديد: **١٦**]، فقال: يا رب، قد آن، فرجع فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال قوم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وأمنهم وجاور الحرم حتى مات. (٢)

٥- التفكر يورث العبد نور البصيرة

قال ابن القيم: التفكر يوقع صاحبه من الإيمان على مالا يوقعه عليه العمل المجرد فإن التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له وتميز مراتبها في الخير والشر ومعرفة مفضولها من فاضلها وأقبحها من قبيحها ومعرفة أسبابها الموصلة إليها وما يقاوم تلك الأسباب ويدفع موجبها والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه. (٣)

قال الحسن البصري: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. (٤)

٦- التفكر يفتح للعبد باب العلم والحكمة

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٠٦)

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٤٠)

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٠)

(٤) حلية الأولياء (٨/ ١٠٩)

قال ابن القيم: التفكر والتذكر بذار العلم، وسقيه مطارحته، ومذاكرته تلقيحه. (١)

قال كعب الأحبار: من أراد أن يبلغ شرف الآخرة فليكثر التفكير يكن عالما. (٢)

قال ابن القيم: إذا غذي القلب بالتذكر وسقي بالتفكر ونقي من الدغل رأى العجائب وألهم الحكمة. (٣)

٧- التفكر سبب لحفظ الأعمال والإتيان بها على الوجه الشرعي المطلوب

فالعبرة في الأعمال إتقانها وإحسانها، قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } [الملك: ٢] وقال تعالى: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} [الكهف: ٣٠]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان فِي تَفَكُّرٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ سَاهٍ. (٤)

وقال ابن القيم: قراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن. (٥)

فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٣)

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٣٧٦)

(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٨)

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ١٥١)

(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧)

ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل، وطاشت لأجله السجلات لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات. . . . . وتأمل ما قام بقلب قاتل المائة. . . . . وقريب من هذا ما قام بقلب البغي التي رأت ذلك الكلب – وقد اشتد به العطش يأكل الثرى. (١)

فعبادة التفكر هي عبادة الأنبياء ودرب الأتقياء ونور وبرهان للاهتداء فيها العبرات والعظات وبحر من الخيرات وفيها اليمن والبركات فالزموا يا عباد الله.

الفهم الخاطئ للتفكر

لا يعني التفكر والتأمل أن يغلق المرء على نفسه أو يتكلف وضعا معينا، أو هيئة معينة، كما يفعله بعضهم عند التأمل أو التفكير، أو مَن ينشغل بالتفكر عن العمل طوال دهره فهذا يخادع نفسه **قال القرطبي**: أما طريقة الصوفية أن يكون الشيخ منهم يوما وليلة وشهرا مفكرا لا يفتر، فطريقة بعيدة عن الصواب غير لائقة بالبشر، ولا مستمرة على السنن.

– ولا يلزم للتفكر: الصمت عن الكلام لفترات طويلة

ليس المقصود بالتفكر الصمت عن الكلام؛ لأن الصمت المجرد من عمل الجاهلية، وليس من هدي الإسلام، **عن عليّ بن أَبِي طَالِبٍ** رضي الله عنه: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ، وَلَا صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ ». (٢)

قال الخطابي: كان أهل الجاهلية من نسكهم الصمات، وكان الواحد منهم يعتكف اليوم والليلة فيصمت ولا ينطق فنهوا عن ذلك وأمروا بالذكر والنطق بالخير. (٣)

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤٠)

(٢) رواه أبو داود (٢٨٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٦١)

(٣) معالم السنن (٤/ ٨٧)

قال المناوي: وَلَا صُمَاتَ: أي لا عبرة به ولا فضيلة له وليس مشروعا عندنا كما شرع للأمم قبلنا فنهى عنه لما فيه من التشبه بالنصرانية. (١)

وعن قيس بن أبي حازم، قال: دخل **أبو بكر** على امرأة من أحمس يقال لها زينب، فرآها لا تَكلَّم، فقال: ما لها لا تكلم؟ قالوا: حجت مُصمتة، قال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية. (٢)

قال ابن تيمية: فأخبر أبو بكر: أن الصمت المطلق لا يحل، وعقب ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية، قاصدا بذلك عيب هذا العمل وذمه. (٣)

- ولا يلزم للتفكر السكون التام وترك الحركة مطلقا

التفكر لا يستلزم سكون البدن وعدم تحرك شيء منه، فإن الحركة لا تنافي التفكر والتأمل كما جاء **في حديث عَلِيّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ الأَرْضَ بِعُودٍ، فَقَالَ: « لَيْسَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ فُرِغَ مِنْ مَقْعَدِهِ مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ». الحديث. (٤)

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: « اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاَثًا ». (٥)

---

(١) فيض القدير (٦/ ٤٤٤)

(٢) رواه البخاري (٣٨٣٤)

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٧١)

(٤) رواه البخاري (١٣٦٢) ومسلم (٢٦٤٧)

(٥) رواه أحمد (٤/ ٢٨٧) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٥١٣)

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ عُودٌ يَضْرِبُ بِهِ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ. (١)

قال ابن حجر: وفقه الترجمة أن ذلك لا يعد من العبث المذموم لأن ذلك إنما يقع من العاقل عند التفكر في الشيء ثم لا يستعمله فيما لا يضر تأثيره فيه بخلاف من يتفكر وفي يده سكين فيستعملها في خشبة تكون في البناء الذي فيها فسادا فذاك هو العبث المذموم. (٢)

- وكذلك ترديد الأذكار على صورة غير شرعية

فقد ضلت في ذلك طوائف عندما ابتدعوا ألفاظا يرددونها مرات ومرات، يتعبدون بها أو يظنون بها صلاحا لأنفسهم.

والتكرير الوارد في السنة إنما هو لأذكار مخصوصة، وليس لأحد أن يبتدع أذكارا أو ألفاظا لم يأذن بها الشارع، ولو فعل ذلك لم ينتفع بها في الدنيا ولا في الآخرة، عَنْ **عَائِشَةَ** رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ ». (٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولو كرر الإنسان اسم " الله " ألف ألف مرة لم يصر بذلك مؤمنا ولم يستحق ثواب الله ولا جنته. (٤)

وقال تعليقا على ما يقوله أبو حامد الغزالي: ذكر العامة: " لا إله إلا الله " وذكر الخاصة: " الله الله " وذكر خاصة الخاصة: " هو " " هو ". قال: والذكر بالاسم المفرد

---

(١) رواه البخاري (٦٢١٦) ومسلم (٢٤٠٣)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٩٧)

(٣) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٦٢)

مظهرا ومضمرا بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة فإن الاسم المجرد ليس هو كلاما لا إيمانا ولا كفرا. (١)

وقال أيضا: الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلاما تاما مفيدا مثل " لا إله إلا الله " ومثل " الله أكبر " ومثل " سبحان الله والحمد لله " ومثل " لا حول ولا قوة إلا بالله " فأما " الاسم المفرد " مظهرا مثل: " الله " " الله ". أو " مضمرا " مثل " هو " " هو ". فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة. ولا هو مأثور أيضا عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين. (٢)

فاللهم اجعلنا من المتفكرين في آياتك الشرعية والكونية والممتثلين لأمرك والمجتنبين لمعصيتك وجميع سخطك.

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٩٦)

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٥٦)

obeikan.com

ملف العدد لفضيلة الشيخ محمد عبد العزيز

مهلاً يا رافعي اللواء

ذهبت طائفة من أهل العلم المعاصرين إلى تنزيل مذاهب أهل العلم منزلة الشريعة، فينظرون في المذاهب الفقهية، نظرهم للمذهب الواحد، و يبحثون فيها عما يكون أصلح للناس، و أقرب لروح العصر، و أوفى للحالة الزمانية و المكانية، و أقرب عاقبة زعموا، فيتخيرون من كل مذهب ما يناسب فتواهم، و الترجيح بين هذه المذاهب عندهم ترجيح بين أقوال أصحابها، بحسب ما يلائم الواقع من وجهة نظرهم، وتبعًا لضغط العامة، وليس اعتمادًا على الدليل الراجح في المسألة، أو مُدرك الحكم، وقد عرف هذا الاتجاه باتجاه الفقه المقارن _ ليس كل من انتسب إلى الفقه المقارن ينتمي إلى هذه المدرسة، على أن هذه التسمية نفسها معترض عليها _ بل بلغ الشطط ببعضهم أنه ادعى وجوب عرض المفتي مذاهب أهل العلم على المستفتي و تركه يتخير من مذاهبهم ما يروق لحاله أو قل: يتتبع رخص العلماء.

ورحم الله الإمام ابن عبد البر فقد نقل عن سليمان التيمي في جامع بيان العلم وفضله (٢ / ٩٢٧) أنه قال: ((لَوْ أَخَذْتَ بِرُخْصَةِ كُلِّ عَالِمٍ اجْتَمَعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: هَذَا إِجْمَاعٌ لَا أَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.))

وقال (٢ /٩٢٢): ((وَقَالَ أَشْهَبُ، سَمِعْتُ مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: "مَا الْحَقُّ إِلَّا وَاحِدٌ، قَوْلَانِ مُخْتَلِفَانِ لَا يَكُونَانِ صَوَابًا جَمِيعًا، مَا الْحَقُّ وَالصَّوَابُ إِلَّا وَاحِدٌ"

قَالَ أَشْهَبُ: وَبِهِ يَقُولُ اللَّيْثُ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: " الِاخْتِلَافُ لَيْسَ بِحُجَّةٍ عِنْدَ أَحَدٍ عَلِمْتُهُ مِنْ فُقَهَاءِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَنْ لَا بَصَرَ لَهُ وَلَا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ، وَلَا حُجَّةَ فِي قَوْلِهِ.

قَالَ الْمُزَنِيُّ: " يُقَالُ لِمَنْ جَوَّزَ الاِخْتِلاَفَ وَزَعَمَ أَنَّ الْعَالِمَيْنِ إِذَا اجْتَهَدَا فِي الْحَادِثَةِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: حَلاَلٌ وَقَالَ الْآخَرُ حَرَامٌ فَقَدْ أَدَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جَهْدَهُ وَمَا كُلِّفَ، وَهُوَ فِي اجْتِهَادُهُ مُصِيبٌ الْحَقَّ، أَبِأَصْلٍ قُلْتَ هَذَا أَمْ بِقِيَاسٍ؟

فَإِنْ قَالَ: بِأَصْلٍ، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ يَكُونُ أَصْلاً وَالْكِتَابُ أَصْلٌ يَنْفِي الْخِلاَفَ.

وَإِنْ قَالَ بِقِيَاسٍ قِيلَ: كَيْفَ تَكُونُ الْأُصُولُ تَنْفِي الْخِلاَفَ، وَيَجُوزُ لَكَ أَنْ تَقِيسَ عَلَيْهَا جَوَازَ الْخِلاَفِ؟

هَذَا مَا لَا يُجَوِّزُهُ عَاقِلٌ فَضْلاً عَنْ عَالِمٍ.

وَيُقَالُ لَهُ: أَلَيْسَ إِذَا ثَبَتَ حَدِيثَانِ مُخْتَلِفَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ فَأَحَلَّهُ أَحَدُهُمَا وَحَرَّمَهُ الْآخَرُ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى إِثْبَاتِ أَحَدِهِمَا وَنَفْيِ الْآخَرِ أَلَيْسَ يَثْبُتُ الَّذِي يُثْبِتُهُ الدَّلِيلُ وَيُبْطِلُ الْآخَرَ وَيُبْطِلُ الْحُكْمَ بِهِ، فَإِنْ خَفِيَ الدَّلِيلُ عَلَى أَحَدِهِمَا وَأُشْكِلَ الْأَمْرُ فِيهِمَا وَجَبَ الْوُقُوفُ فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ وَلَا بُدَّ مِنْ نَعَمْ، وَإِلَّا خَالَفَ جَمَاعَةَ الْعُلَمَاءِ.

قِيلَ لَهُ: فَلِمَ لَا تَصْنَعْ هَذَا بِرَأْيِ الْعَالِمَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ؟

فَتُثْبِتُ مِنْهُمَا مَا أَثْبَتَهُ الدَّلِيلُ وَتُبْطِلُ مَا أَبْطَلَهُ الدَّلِيلُ؟

قَالَ أَبُو عُمَرَ: مَا أَلْزَمَهُ الْمُزَنِيُّ عِنْدِي لَازِمٌ؛ فَلِذَلِكَ ذَكَرْتُهُ وَأَضَفْتُهُ إِلَى قَائِلِهِ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: إِنَّ مِنْ بَرَكَةِ الْعِلْمِ أَنْ تُضِيفَ الشَّيْءَ إِلَى قَائِلِهِ.

وَهَذَا بَابٌ يَتَّسِعُ فِيهِ الْقَوْلُ وَقَدْ جَمَعَ الْفُقَهَاءُ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ فِي هَذَا وَطَوَّلُوا وَفِيمَا لَوَّحْنَا مَقْنَعٌ وَنِصَابٌ كَافٍ لِمَنْ فَهِمَهُ وَأَنْصَفَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُخَادِعْهَا بِتَقْلِيدِ الرِّجَالِ.))

وقال الأوزاعي: " من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام "[1]

(١)سنن البيهقي الكبرى (١٠ / ٢١١ / ٢٠٧٠٧)

وقال الإمام أحمد: لو أن رجلا عمل بقول أهل الكوفة في النبيذ، وأهل المدينة في السماع و أهل مكة في المتعة كان فاسقًا.[١]

وقال الشاطبي : " فإذا صار المكلف في كل مسألة عنت له يتبع رخص المذاهب وكل قول وافق فيها هواه فقد خلع ربقة التقوى وتمادى في متابعة الهوى ونقض ما أبرمه الشارع وأخر ما قدمه ".[٢]

obeikan.com

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (رقم ١٧١).
(٢) الموافقات (٢ / ٣٨٦ – ٣٨٧):

نظرات في كتاب: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، والصلاة و السلام على إمام المتقين، و خاتم النبيين، و على آله و صحبه، وبعد:

فإن كتاب إحكام الأحكام، للإمام الحافظ الفقيه الأصولي صاحب الفنون ابن دقيق العيد. رحمه الله تعالى. كتاب عظيم، قل أن تجد له نظيرًا، لا يستغني عنه عالم متقن، ولا طالب علم متوسط، ففيه مباحث شريفة، وفوائد منيفة، وتدقيقات قل أن تجتمع في مثله، و هو من أحسن الكتب التي تربي الملكة في استنباط الأحكام الفقهية، ولذا ستكون عليه تلك الإطلالة، وسنتحدث في هذا المقال حديثًا قصيرًا عن كتابين آخرين للكتاب صلة بهما:

الأول: كتاب: عمدة الأحكام، للإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي. رحمه الله تعالى..

وهو الكتاب الأصل الذي شرحه ابن دقيق العيد. رحمهما الله تعالى..

الآخر: كتاب: العدة، للشيخ العلامة عز الدين أبي إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف بالأمير. رحمه الله. (المتوفى: **١١٨٢ هـ**). **وهذا الكتاب شرح للشرح (حاشية).**

فائدة: ظهرت المتون العلمية سواء كانت في الحديث، أو الفقه، أو علوم الآلة، كاللغة و الأصول، و نحوهما عندما استقرت العلوم، و احتاج الطلاب لمصنف جامع يجمع أطرافها في لفظ مختصر ليتصور العلم في ذهن طلاب العلم من أقرب طريق.

ومن أمثلة تلك المتون في العلوم المختلفة:

. كتاب: موطأ الإمام مالك. رحمه الله تعالى .، فهو متن علمي يجمع طائفة أصيلة من أحاديث الأحكام، و آثار الصحابة و التابعين، و عمل أهل المدينة.

. كتاب: الرسالة، للشافعي . رحمه الله تعالى .، فهو متن علمي أصولي كتبه الإمام الشافعي بطلب من عبد الرحمن بن مهدي، أراد أن يبين له فيه معاني القرآن، و يجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة. . . ، فكان أول واضع لعلم الأصول.

فليس معنى المتن ضيق كما يظنه كثير من إخواني من طلاب العلم.

ثم جاءت الحاجة لشرح تلك المتون العلمية و تفسيرها، بما يفتح مغاليقها، و يبين غريبها، و يوجه استدلال العلماء، و يوضح طريق الاستنباط فيها، فكانت الشروح العلمية، و تلك صنعة المتأخرين بداية من علماء القرن الخامس الهجري تقريبًا.

وربما استغلق قول الشارح، أو أطلق ما هو مقيد، و أو ذكر عامًا له مخصص، أو ترك مبهمًا لم يبينه، أو ترك ما يستدرك عليه، فظهرت الحاجة لشرح الشروح، و هو ما يعرف اصطلاحًا بالحواشي العلمية، و ربما فاقت شهرة هذه الحواشي تلك الشروح.

وربما ترك صاحب الحاشية مسألة لم يتعرض لها، أو ذكر مشكلاً يحتاج لحل، أو أرسل قولاً يحتاج لتوثيق، فظهرت من هنا الحاجة لشرح تلك الحواشي، فظهر ما يعرف اصطلاحًا بالتقريرات، و هي شروح عظيمة الفائدة لطلاب العلم الذين يدققون في أقوال العلماء.

فتراث الأمة يكاد أن يكون في هذه الأربعة: المتون، و الشروح، و الحواشي، و التقريرات، إضافة للمطولات و المختصرات.

ولنشرع الآن فيما أردنا بيانه في هذا المقال:

أولاً: كتاب عمدة الأحكام:

اسم الكتاب: عمدة الأحكام في معالم الحلال و الحرام، عن خير الأنام محمد عليه الصلاة و السلام، مما اتفق عليه الشيخان البخاري و مسلم.

وهذا الكتاب كما سبق من تأليف الإمام الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي. رحمه الله تعالى. (المتوفى: ٦٠٠ هـ).

و فكرة هذا الكتاب تتلخص في أمرين:

. جمع طائفة مختصرة من الأحاديث التي تدور عليها الأحكام العملية الشرعية.

. أن تكون هذه الطائفة من أصح أحاديث الأحكام، و لذا انتقاها مما اتفق عليه الشيخان البخاري، و مسلم. رحمهما الله تعالى. كما هو واضح من عنوان الكتاب.

. وهذا الكتاب مرتب على الأبواب الفقهية فهو يبدأ بكتاب: الطهارة، و ينتهي بكتاب: العتق، ويحوي بين دفتيه ستة عشر كتابًا.

. و قد انتقى فيه ثمانية و أربعين، و أربع مئة حديثٍ (٤٤٨)، هي عيون أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان.

. وهذا الكتاب من أنفع كتب أحاديث الأحكام، ولذا كان يبدأ العلماء بحفظه، و لا يغني عنه مختصرٌ آخر في أحاديث الأحكام، وفيه ما يزيد عن مئتي حديث متفق عليها ليست في كتاب الحافظ ابن حجر: بلوغ المرام.

. و المصنف. رحمه الله تعالى. قد استل كتابه هذا الكتاب على ما يبدو من كتابه: الأحكام الكبرى، ولذا تجد فيه بعض الهنات التي لا يخلو بشر منها كأن يكون روى الحديث في كتابه: الأحكام الكبرى من طريق الشيخين و غيرهما، و قد ساق بعض ألفاظه فيه من طريق هذا الغير، ثم يسهو، ويستله في هذا الكتاب ويعزوه للشيخين، فمن أمثلة ذلك حديث محمد بن عباد بن جعفر قال سألت جابر بن عبد الله: " أنهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم. " زاد مسلم: " ورب الكعبة. "

و الزيادة في مسلم (حديث: ١١٤٣) بلفظ: " ورب هذا البيت. "

و إنما هذا اللفظ للنسائي في الكبرى (٢٧٦٠)، و قد ساقه هكذا المصنف الشيخ عبد الغني المقدسي في الكبرى (حديث: ٤٤١) فنقله هنا سهوًا.

. وربما وهم فروى الحديث في كتابه . وشرطه في هذا الكتاب أن يكون متفق عليه . فيرويه في كتابه، و هو لأحدهما، فمن أمثلة ذلك حديث عائشة . رضي الله عنها . قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شيء إلا في آخرها. " و هو من أفراد مسلم (٧٣٧).

[وقد ذكر هذين المثالين محقق الكتاب نظر الفاريابي]

. و المصنف . رحمه الله تعالى . يسوق لفظ الحديث في الغالب من كتاب: الجمع بين الصحيحين، للحميدي.

طبعات الكتاب:

قد طبع الكتاب عدة مرات منها:

١ . طبع في مطبعة السنة المحمدية بتحقيق الشيخ العلامة: محمد حامد الفقي . رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣٧١ هـ).

٢ . طبعة دار المعارف في مصر سنة (١٣٧٣ هـ) بتصحيح الشيخ العلامة المحدث أحمد محمد شاكر . رحمه الله تعالى . (المتوفى: ١٣٧٧ هـ).

٣ . طبعة دار المأمون للتراث سنة (١٤٠٥ هـ) بتحقيق الشيخ: محمود الأرناؤوط.

٥ . طبع في المطبع الأنصاري بدهلي في الهند ضمن مجموعة الحديث النجدية.

٦ . طبع في مطبعة المنار بمصر باعتناء الشيخ: محمد رشيد رضا . رحمه الله تعالى . (المتوفى: ١٣٥٤ هـ) ضمن مجموعة الحديث النجدية أيضاً سنة (١٣٤٢ هـ).

٧ . طبع في دار الفاريابي للمطبوعات العربية، على سبع نسخ خطية، دراسة و تحقيق: نظر محمد الفاريابي، وهي من أحسن طبعات الكتاب و أجودها، و فيه من التوثيق ما ليس في غيره، وقد قدم له بدراسة قيمة.

obeikan.com

شروح الكتاب:

حظي هذا الكتاب بعدد كبير من الشروح قاربت الخمسين شرحًا نظرًا لاهتمام أهل العلم به فمن هذه الشروح:

١. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للشيخ تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المشهور بابن دقيق العيد. رحمه الله تعالى.، وسيأتي الكلام عنه تفصيلاً.

٢. الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، للإمام الحافظ العلامة أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن المتوفي سنة (٨٠٤هـ) وهو أجل كتبه وأحسنها، وقد توسع في الشرح توسعاً واضحاً رحمه الله تعالى.

طبع بتحقيق وتخريج وتعليق الشيخ عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح الطبعة الأولى سنة (١٤١٧ هـ) نشر دار العاصمة في الرياض.

٣. كشف اللثام في شرح عمدة الأحكام، لشمس الدين أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٩ هـ)، وهو من أوسع شروح الكتاب، وقد طبع في سبع مجلدات، اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

٤. خلاصة الكلام على عمدة الأحكام، للشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك. رحمه الله تعالى. (المتوفى: ١٣٧٦ هـ)، طبع في مجلد واحد أكثر من مرة منها طبعة: شركة الشمرلي للطبع والنشر بالقاهرة سنة: ١٣٧٩ هـ، نشرته مكتبة الرياض سنة: ١٣٩٢ هـ، وسنة (١٤٠٠ هـ).

٥ . تنبيه الأفهام بشرح عمدة الأحكام، للشيخ محمد بن صالح العثيمين طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدة مرات.

٦ . تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، طبع عدة مرات منها الطبعة الثالثة سنة: **١٣٩٣** هـ، في مجلدين، و هو من أيسر و أسهل شروحه، فيصلح للطالب المبتدئ، و لا يستغني عنه المنتهي.

٧ .نيل المرام شرح عمدة الأحكام، للشيخ حسن بن سليمان النوري، والشيخ علوي بن عباس المالكي (المتوفى: **١٣٩١** هـ) رحمه الله تعالى، نشر مكتبة الاقتصاد في مكة المكرمة الطبعة الثالثة سنة: **١٣٨٨** هـ.

[انظر: شروح الكتاب، و طبعاتها في جامع المتون العلمية، للشيخ: عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (ص **٢٦٢**).]

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المقال، فإن يكن صوابًا فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فاستغفر الله منه.

obeikan.com

الفهـــرس

هكذا تكون المواعظ ٢
كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ٥
وقفات مع حديث "الدين النصيحة"(١) ١٦
تأملات في سورة الإخلاص (١) ٣٠
عبادة التفكر (١) ٣٩
كفران النعم وشكرها ٥٣
آداب الناصح والمنصوح (٢) ٦١
تأملات في سورة الإخلاص (٢) ٧٣
عبادة التفكر (٢) ٨٥
ملف العدد لفضيلة الشيخ محمد عبد العزيز ٩٩
مهلاً يا رافعي اللواء ٩٩
نظرات في كتاب: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ١٠٢

obeikan.com